الفتوى الحموية الكبرى

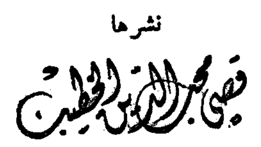
تأليف

شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية

(٦٦١ – ٧٢٩)

(الطبعة الرابعة ١٤٠١ هـ)

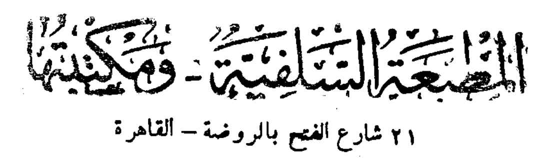
نشرها



طبع فى مطبعتنا السلفية هذه الطبعات

الطبعة الأولى فى : ١٣٥١ بمكة المكرمة
» الثانية فى : ١٣٨٧ بالقاهرة
» الثالثة فى : ١٣٩٨ »
» الرابعة » : ١٤٠١ »

طبعت فى دار



٢١ شارع الفتح بالروضة — القاهرة

تليفون ٨٤٠٣٦٤

هذه الفتوى

بسم الله الرحمن الرحيم

كان شيخ الإسلام المؤلف تغمده الله برحمته قد استفتى من مدينة حماه عما يجب الإيمان به من صفات الله الثابتة فى كتابه الحكيم وصحيح سنة رسوله الكريم — كالاستوا على العرش ، والعلو ، والنزول إلى سماء الدنيا إلخ :

هل هى على ظاهرها أم لا بد من تأويلها ؟

فأجاب على ذلك بما كان أجاب به الإمام مالك بن أنس وشيخه ربيعة . وهو أن « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة » وأن هذا ما كان عليه الأئمة المتبوعون والصحابة قبلهم والتابعون . فهاج القائلون بالتأويل على هذه الفتوى .

فرأى شيخ الإسلام أن يزيد هذا التحقيق الإسلامى بياناً ، فأضاف إلى الفتوى نصوصاً عظيمة عن أعلام العلماء من أتباع المذاهب الأربعة والصوفية ، كأقوال ابن أبى زمنين الأندلسى المالكى ، وابن خفيف الشيرازى الشافعى الصوفى ، وعمرو ابن عثمان المكى الصوفى وغيرهم ، فانتشرت الفتوى بعد هذه الزيادات انتشاراً عظيما ، وسميت « الفتوى الحموية الكبرى » لتتميز عن أختها السابقة التى عرفت فيما بعد باسم « الفتوى الحموية الصغرى » .

وقد ترجمت هذه الفتوى الكبرى باللغة الأوردية وطبعت مع أصلها فى بلدة (لابنور) بالهند سنة ١٢٩١ بأمر العلامة صديق حسن خان ملك بهوبال ، ثم طبعت فى بلدة (امر تسر) بالهند سنة ١٣٢٢ بنفقة أمير قطر يومئذ الشيخ قاسم بن محمد ابن ثان ضمن مجموعة بمطبعة القرآن والسنة . وفى السنة التالية ١٣٢٣ طبعت فى مصر ضمن مجموعة أيضاً ، ثم طبعتها مطبعتنا السلفية (فرع مكة) سنة ١٣٥١ بعناية صديقنا العلامة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة ، ثم فى مطبعة دار المعارف بالقاهرة بعناية العلامة الشيخ أحمد شاكر سنة ١٣٧٣ ، وما زال يتكرر طبعها إلى الآن .

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الإسلام العالم الربانى تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام رحمه الله تعالى ، وذلك فى سنة ثمان وتسعين وستمائة ، وجرى بسبب هذا الجواب أمور ومحن (١) ، وهو جواب عظيم النفع جداً ، فقال السائل :

ما قول السادة الفقهاء أئمة الدين فى آيات الصفات كقوله تعالى [فى سورة طه الآية ٥] : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ وقوله [يونس ٣ ، الرعد ٢ ، الفرقان ٥٩ ، السجدة ٤ ، الحديد ٤] : ﴿ثم استوى على العرش﴾ وقوله [فصلت ١١] : ﴿ ثم استوى إلى السماء وهى دخان ﴾ إلى غير ذلك من الآيات ، وأحاديث الصفات كقوله صلى الله عليه وسلم « إن قلوب بنى آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن » وقوله « يضع الجبار قدمه فى النار » إلى غير ذلك وما قالت العلماء فيه . وأبسطوا القول فى ذلك مأجورين إن شاء الله تعالى . فأجاب :

الحمد لله رب العالمين . قولنا فيها ما قال الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم ، وهذا هو الواجب على جميع الخلق فى هذا الباب وغيره (٢) ، فإن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ، وشهد له بأنه بعثه داعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً وأمره أن يقول [يوسف ١٠٨] ﴿ هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ﴾ . فمن المحال فى العقل والدين أن يكون السراج المنير — الذى أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور ، وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلى ما بعث به من الكتاب والحكمة ، وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه

---

(١) أشار إلى بعضها تلميذه الحافظ ابن كثير فى تاريخه « البداية والنهاية » ١٤ : ٤

(٢) لأنه من علم الغيب ، والله لم يكلف عقول الإنسانية ما لا طاقة لها بمعرفته من ذلك ، لأن الإسلام يقرر أنه لا يعلم الغيب إلا الله

على بصيرة . وقد أخبر الله بأنه أكمل له ولأمته دينهم وأتم عليهم نعمته — محال مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبساً مشتبهاً ، ولم يميز بين ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العليا وما يجوز وما يمتنع عليه ، فإن معرفة هذا أصل الدين ، وأساس الهداية ، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول ، فكيف يكون ذلك الكتاب ، وذلك الرسول ، وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الباب اعتقاداً وقولا ؟

ومن المحال أيضاً أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد علم أمته كل شيء حتى الخراءة (٢) وقال « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك » . وقال فيما صح عنه أيضاً « ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم . وقال أبو ذر « لقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه فى السماء إلا ذكر لنا منه علماً » . وقال عمر بن الخطاب « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً فذكر بدء الخلق ، حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم ، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه » رواه البخارى .

ومحال — مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة فى الدين وإن دقت — أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه فى قلوبهم فى ربهم ومعبودهم رب العالمين الذى معرفته غاية المعارف ، وعبادته أشرف المقاصد ، والوصول إليه غاية المطالب ، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية ، فكيف يتوهم من فى قلبه أدنى مسكة من إيمان وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام ؟ ثم إذا كان قد وقع ذلك منه فمن المحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونها قصروا فى هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه .

ثم من المحال أيضاً أن تكون القرون الفاضلة — القرن الذى بعث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم — كانوا غير عالمين ، وغير قائلين فى هذا الباب بالحق المبين . لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول ، وإما اعتقاد نقيض الحق ، وقول خلاف الصدق ، وكلاهما ممتنع : أما الأول فلأن من فى قلبه أدنى حياة وطلب للعلم أو نهمة فى العبادة يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر

---

(١) أى أدب التخلى ، يشير إلى حديث سلمان فى صحيح مسلم ومسند أحمد

مقاصده وأعظم مطالبه ، أعنى بيان ما ينبغى اعتقاده ، لا معرفة « كيفية » الرب وصفاته ، وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر . وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدانية ، فكيف يتصور — مع قيام هذا المقتضى الذى هو من أقوى المقتضيات — أن يتخلف عنه مقتضاه فى أولئك السادة فى مجموع عصورهم هذا لا يكاد يقع فى أبلد الخلق ، وأشدهم إعراضاً عن الله ، وأعظمهم انكباباً (١) على طلب الدنيا والغفلة عن ذكر الله ، فكيف يقع فى أولئك ؟ وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق أو قائليه فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم .

ثم الكلام فى هذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن سطره فى هذه الفتوى وأضعافها ، يعرف ذلك من طلبه وتتبعه . ولا يجوز أيضاً أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما قد يقوله بعض الأغبياء ممن لا يعرف قدر السلف ، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها ، من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم ، وإن كانت هذه العبارة إذا صدرت من بعض العلماء قد يعنى بها معنى صحيحاً ، فإن هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم على طريقة السلف إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هى مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك ، بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم [آل عمران ٧٨] : ﴿ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى ﴾ وإن طريقة الخلف هى استخراج معانى النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات (٢) وغرائب اللغات ، فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالات التى مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر . وقد كذبوا على طريقة السلف وضلوا فى تصويب طريقة الخلف . فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف فى الكذب عليهم ، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف . وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس فى نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التى شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين ، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات فى نفس الأمر — وكان مع ذلك لابد للنصوص من معنى — بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى ، وهى التى يسمونها طريقة السلف ، وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع تكلف ، وهى التى يسمونها طريقة الخلف ، فصار هذا الباطل مركباً من فساد العقل والكفر بالسمع ، فإن النفى إنما اعتمدوا فيه على أمور

---

(١) فى نسخة : إكبابا

(٢) فى نسخة : المجازفات

عقلية ظنوها بينات وهى شبهات ، والسمع حرفوا فيه الكلام عن مواضعه ، فلما انبنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكفريتين الكاذبتين كانت النتيجة استجهال السابقين الأولين واستبلاههم ، واعتقاد أنهم كانوا قوماً أميين بمنزلة الصالحين من العامة لم يتبحروا فى حقائق العلم بالله ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهى ، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق فى هذا كله .

ثم هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده فى غاية الجهالة ، بل فى غاية الضلالة ، كيف يكون هؤلاء المتأخرين — لاسيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر فى باب الدين اضطرابهم ، وغلظ عن معرفة الله حجابهم ، وأخبر الواقف على نهاية إقدامهم (١) بما انتهى إليه أمرهم :

لعمرى لقد طفت المعاهد كلها ... وسيرت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر إلى واضعاً كيف حائر ... على ذقن أو قارعاً سن نادم

وأقروا على أنفسهم بما قالوا متمثلين به ، أو منشئين له ، فيما صنفوه من كتبهم ، كقول بعض رؤسائهم (٢) :

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا فى وحشة من جسومنا ... وغاية دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفى عليلا ، ولا تروى غليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، اقرأ فى الإثبات [طه ٥] : ﴿ الرحمن على العرش ستوى ﴾ ، [فاطر ١٠] : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ ، واقرأ فى النفى [الشورى ١١] : ﴿ ليس كمثله شىء ﴾ ، [طه ١١٠] : ﴿ ولا يحيطون به علماً ﴾ . ومن جرب مثل تجربتى عرف مثل معرفتى .

ويقول الآخر منهم (٣) : لقد خضت البحر الخضم ، وتركت أهل الإسلام وعلومهم وخضت فى الذى نهونى عنه ، والآن إن لم يتداركنى ربى برحمته فالويل لفلان ، وها أنا أموت على عقيدة أمى .

---

(١) هو الشهرستانى كما ذكره المؤلف فى كتاب العقل والنقل
(٢) هو الفخر الرازى فى كتابه « أقسام اللذات » الذى صنفه فى آخر عمره
(٣) هو إمام الحرمين أبو المعالى الجوينى

ويقول الآخر منهم : أكثر الناس شكا عند الموت أصحاب الكلام .

ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حقق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر ، ولا وقعوا من ذلك على عين ولا أثر . كيف يكون هؤلاء المحجوبون المفضولون المسبوقون الحيارى المتهوكون أعلم بالله وأسمائه وأحكم فى باب ذاته وآياته ، من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل وأعلام الهدى ومصابيح الدجى ، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء فضلا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم ، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة ؟

ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص فى العلم والحكمة — لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته — من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم ؟ أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأشكالهم وأشباههم أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان ؟

وإنما قدمت هذه المقدمة لأن من استقرت هذه المقدمة عنده عرف طريق الهدى أين هو فى هذا الباب وغيره . وعلم أن الضلال والتهوك إنما استولى على كثير من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم ، وإعراضهم عما بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم من البينات والهدى ، وتركهم البحث عن طريقة السابقين والتابعين ، والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله بإقراره على نفسه ، وبشهادة الأمة على ذلك ، وبدلالات كثيرة . وليس غرضى واحداً معيناً ، وإنما أصف نوع هؤلاء ، وإذا كان كذلك فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أولها إلى آخرها ، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ، ثم كلام سائر الأئمة ، مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر فى أن الله سبحانه وتعالى هو العلى الأعلى ، وهو فوق كل شىء ، وهو عال على كل شىء وأنه فوق العرش ، وأنه فوق السماء مثل قوله تعالى [فاطر ١٠] : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصالح يرفعه ﴾ ، [آل عمران ٥٥] : ﴿ إنى متوفيك ورافعك إلىّ ﴾ ، [الملك ١٥ — ١٦] : ﴿ ءأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور ، أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا ﴾ ، [النساء ١٥٨] : ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾

[المعارج ٤] : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ ، [السجدة ٥] : ﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه ﴾ ، [النحل ٥٠] : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ ، [يونس ٣ ، الرعد ٢ ، الفرقان ٥٩ ، السجدة ٤ ، الحديد ٤] : ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ فى خمسة مواضع ، [طه ٥] : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ، [غافر ٣٦—٣٧] : ﴿ يا هامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً ﴾ ، [فصلت ٤٢] : ﴿ تنزيل من حكيم حميد ﴾ ، [الأنعام ١١٤] : ﴿ منزل من ربك ﴾ إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بالكلفة ، وفى الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى إلا بالكلفة ، مثل قصة معراج الرسول إلى ربه ، ونزول الملائكة من عند الله ، وصعودها إليه ، وقوله فى الملائكة الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار ، فيعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم ، فيسألهم وهو أعلم بهم ، وفى الصحيح فى حديث الخوارج « ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء يأتينى خبر السماء صباحاً ومساء » وفى حديث الرقية الذى رواه أبو داود وغيره « ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمك ، أمرك فى السماء والأرض ، كما رحمتك فى السماء ، اجعل رحمتك فى الأرض ، اغفر لنا حوبنا وخطايانا ، أنت رب الطيبين ، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع » قال صلى الله عليه وسلم « إذا اشتكى أحد منكم أو اشتكى أخ له فليقل : ربنا الله الذى فى السماء » وذكره . وقوله فى حديث الأوعال « والعرش فوق ذلك ، والله فوق عرشه ، وهو يعلم ما أنتم عليه » رواه أحمد وأبو داود وغيرهما ، وقوله فى الحديث الصحيح للجارية « أين الله ؟ قالت : فى السماء . قال : من أنا قالت : أنت رسول الله . قال : أعتقها فإنها مؤمنة » وقوله فى الحديث الصحيح « إن الله لما خلق الخلق كتب فى كتاب موضوع عنده فوق العرش : إن رحمتى سبقت غضبى » ، وقوله فى حديث قبض الروح « حتى يعرج به إلى السماء التى فيها الله » .

وقول عبد الله بن رواحة الذى أنشده للنبى صلى الله عليه وسلم وأقره عليه :

شهدت بأن وعد الله حـــق وأن النار مثوى الكافرينـــا
وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا

وقول أمية بن أبى الصلت الثقفى الذى أنشد للنبى صلى الله عليه وسلم هو وغيره من شعره فاستحسنه وقال « آمن شعره ، وكفر قلبه » (١) .

---

(١) فى « أسنى المطالب » : رواه الخطيب ، وهو ضعيف

مجدوا الله فهو للمجــد أهــل ربنا فى السماء أمسى كبـــيرا
بالبناء الأعلى الذى سبــق النــا س وسوى فوق السماء سريرا
شرجعاً ما يناله بصر العـــ ين ترى دونه الملائك صورا (١)

وقوله فى الحديث الذى فى المسند (٢) « إن الله حى كريم ، يستحى من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا » وقوله فى الحديث « يمد يديه إلى السماء يقول : يارب يا رب » (٣) إلى أمثال ذلك مما لا يحصيه إلا الله مما هو من أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية التى تورث علماً يقينياً من أبلغ العلوم الضرورية أن الرسول المبلغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين أن الله سبحانه على العرش ، وأنه فوق السماء ، كما فطر الله على ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم فى الجاهلية والإسلام ، إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته . ثم عن السلف فى ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مئين أو ألوفاً . ثم ليس فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا عن واحد من سلف الأمة لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لا نصاً ولا ظاهراً ، ولم يقل أحد منهم قط أن الله ليس فى السماء ، ولا إنه ليس على العرش ، ولا إنه بذاته فى كل مكان ، ولا إن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء ، ولا إنه لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا متصل ولا منفصل ، ولا إنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها ، بل قد ثبت فى الصحيح (٤) عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات فى أعظم مجمع حضره الرسول صلى الله عليه وسلم جعل يقول « ألا هل بلغت ؟ فيقولون : نعم . فيرفع إصبعه إلى السماء وينكبها إليهم ويقول : اللهم اشهد » غير مرة ، وأمثال ذلك كثير .

فإن كان الحق فيما يقول هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة فى الكتاب والسنة من هذه العبارات ونحوها دون ما يفهم من الكتاب والسنة إما نصاً وإما ظاهراً ، فكيف يجوز على الله ثم على رسوله ثم على خير الأمة أنهم يتكلمون دائماً بما هو نص

(١) شرجعاً : طويلا . صوراً : جمع أصور ، أى المائل العنق

(٢) فى نسخة : السنن (٣) رواه مسلم والترمذى من حديث طويل لأبى هريرة

(٤) يعنى صحيح مسلم

أو ظاهر فى خلاف الحق ؟ ثم الحق الذى يجب اعتقاده لا يبوحون به قط ولا يدلون عليه لا نصاً ولا ظاهراً ، حتى يجىء أنباط الفرس والروم وفروخ اليهود والنصارى والفلاسفة يبينون للأمة العقيدة الصحيحة التى يجب على كل مكلف — أو كل فاضل — أن يعتقدها ؟ لئن كان ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون هو الاعتقاد الواجب ، وهم مع ذلك أحيلوا فى معرفته على مجرد عقولهم ، وأن يدفعوا بما اقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نصاً ظاهراً ، لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير ، بل كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضاً فى أصل الدين ، فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء : إنكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله عز وجل وما يستحقه من الصفات نفياً وإثباتاً لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الأمة ، ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقاً له من الصفات فصفوه به — سواء كان موجوداً فى الكتاب والسنة أو لم يكن — وما لم تجدوه مستحقاً له فى عقولكم فلا تصفوه به

ثم هم ههنا فريقان : أكثرهم يقولون مالم تثبته عقولكم فانفوه ، ومنهم من يقول بل توقفوا فيه ، وما نفاه قياس عقولكم الذى أنتم فيه مختلفون ومضطربون اختلافاً أكثر من أى اختلاف على وجه الأرض فانفوه ، وإليه عند التنازع فارجعوا ، فإنه الحق الذى تعبدتكم به ، وما كان مذكوراً فى الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا ويثبت ما لم تدركه عقولكم على طريقة أكثرهم فاعلموا أنى أمتحنكم لا لتعلموا بتنزيله ، ولا لتأخذوا الهدى منه ، لكن لتجتهدوا فى تخريجه على شواذ اللغة ووحشى الألفاظ وغرائب الكلام ، وأن تسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله ، مع نفى دلالته على شىء من الصفات. هذا حقيقة الأمر على رأى هؤلاء المتكلمين . وهذا الكلام قد رأيته صرح بمعناه طائفة منهم ، وهو لازم لجماعتهم لزوماً لا محيد عنه ، ومضمونه أن كتاب الله لا يهتدى به فى معرفة الله ، وأن الرسول معزول عن التعليم والإخبار بصفات من أرسله ، وأن الناس عند التنازع لا يردون ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول ، بل إلى مثل ما كانوا عليه فى الجاهلية ، وإلى مثل ما يتحاكم إليه من لا يؤمن بالأنبياء كالبراهمة والفلاسفة وهم المشركون والمجوس وبعض الصابئين ، وإن كان هذا الرد لا يزيد الأمر إلا شدة ولا يرتفع الخلاف به ، إذ لكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا إليهم ، وقد أمروا أن

يكفروا بهم . وما أشبه حال هؤلاء المتكلمين بقوله(١) سبحانه وتعالى [النساء ٦٠–٦٣] ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً . وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً . فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً ﴾ فإن هؤلاء إذا دعوا إلى ما أنزل الله من الكتاب وإلى الرسول — والدعاء إليه بعد وفاته هو الدعاء إلى سنته — أعرضوا عن ذلك وهم يقولون إنا قصدنا الإحسان علماً وعملا بهذه الطريق التى سلكناها ، والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية .

ثم عامة هذه الشبهات التى يسمونها « دلائل » إنما تقلدوا أكثرها عن طاغوت من طواغيت المشركين ، أو الصابئين ، أو بعض ورثتهم الذين أمروا أن يكفروا بهم مثل فلان وفلان أو عمن قال كقولهم لتشابه قلوبهم ، قال الله تعالى [النساء : ٦٥] ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ [البقرة : ٢١٣] ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات ﴾ ، ولازم هذه المقالة أن لا يكون الكتاب هدى للناس ، ولا بياناً ولا شفاء لما فى الصدور ، ولا نوراً ، ولا مرداً عند التنازع . لأنا نعلم بالاضطرار أن ما يقول هؤلاء المتكلفون أنه الحق الذى يجب اعتقاده ، لم يدل عليه الكتاب والسنة لا نصاً ولا ظاهراً ، وإنما غاية المتحذلق أن يستنتج هذا من قوله [فى سورة الإخلاص] : ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ ، و[مريم ٦٥] : ﴿ هل تعلم له سمياً ﴾ وبالاضطرار يعلم كل عاقل أن من دل الخلق على أن الله ليس على العرش ، ولا فوق السماوات ونحو ذلك بقوله ﴿ هل تعلم له سمياً ﴾ لقد أبعد النجعة ، وهو إما ملغز وإما مدلس ، لم يخاطبهم بلسان عربى مبين ، ولازم هذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيراً لهم فى أصل دينهم ، لأن مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد ، وإنما الرسالة زادتهم عمى وضلالة .

---

(١) أى بحال من ذكرهم الله فى قوله . الخ

يا سبحان الله كيف لم يقل الرسول يوماً من الدهر — ولا أحد من سلف الأمة — هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه ، ولكن اعتقدوا الذى تقتضيه مقاييسكم ، واعتقدوا كذا وكذا ، فإنه الحق ، وما خالف ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره ، وانظروا فيها ، فما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه ، ومالا يوافق فتوقفوا فيه أو انفوه

ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر بأن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، فقد علم ما سيكون ، ثم قال « إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله » وروى عنه أنه قال فى صفة الفرقة الناجية « هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى » فهلا قال : من تمسك بالقرآن أو بدلالة القرآن أو بمفهوم القرآن أو بظاهر القرآن فى باب الاعتقادات فهو ضال ، وإنما الهدى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم ، وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة فى هذه المقالة ، وإن كان قد نبغ أصلها فى أواخر عصر التابعين .

ثم أصل هذه المقالة — التعطيل للصفات — إنما هو مأخوذ من تلامذة اليهود والمشركين ، وضلال الصابئين ، فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة فى الإسلام — أعنى أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة وإنما استوى بمعنى استولى ونحو ذلك — أول ما ظهرت هذه المقالة من جعد بن درهم ، وأخذها عنه الجهم ابن صفوان وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه ، وقد قيل : إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان ، وأخذها أبان من طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم ، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودى الساحر الذى سحر النبى صلى الله عليه وسلم . وكان الجعد بن درهم هذا — فيما قيل — من أرض حران ، وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا دين أهل نمرود والكنعانيين الذين صنف بعض المتأخرين فى سحرهم ، ونمرود هو ملك الصابئة الكلدانية المشركين ، كما أن كسرى ملك الفرس والمجوس ، وفرعون ملك مصر ، والنجاشى ملك الحبشة النصارى ، فهذا اسم جنس لا اسم علم .

فكانت الصابئة — إلا قليلا منهم — إذ ذاك على الشرك ، وعلماؤهم هم الفلاسفة وإن كان الصابئ قد لا يكون مشركاً بل مؤمناً بالله واليوم الآخر كما قال تعالى [البقرة ٦٢] : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ وقال

[المائدة ٦٩] : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ لكن كثيراً منهم أو أكثرهم كانوا كفاراً أو مشركين كما أن كثيراً من اليهود والنصارى بدلوا وحرفوا وصاروا كفاراً ومشركين ، فأولئك الصابئون الذين كانوا إذ ذاك كانوا كفاراً أو مشركين ، وكانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل .

ومذهب النفاة من هؤلاء فى الرب سبحانه أنه ليس له إلا صفات سلبية أو إضافية أو مركبة منها ، وهم الذين بعث إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم إليهم ، فيكون الجعد قد أخذها عن الصابئة والفلاسفة ، وكذلك أبو نصر الفارابى دخل حران وأخذ عن فلاسفة الصابئين تمام فلسفته ، وأخذها الجهم أيضاً — فيما ذكره الإمام أحمد وغيره لما ناظر السمنية بعض فلاسفة الهند — وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات — فهذه أسانيد جهم ترجع إلى اليهود والصابئين والمشركين ، والفلاسفة الضالون هم إما من الصابئين وإما من المشركين .

ثم لما عُربت الكتب الرومية واليونانية فى حدود المائة الثانية زاد البلاء ، مع ما ألقى الشيطان فى قلوب الضلال ابتداء من جنس ما ألقاه فى قلوب أشباههم . ولما كان فى حدود المائة الثالثة انتشرت هذه المقالة التى كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسى وطبقته ، وكلام الأئمة — مثل مالك وسفيان بن عيينة وابن المبارك وأبى يوسف والشافعى وأحمد وإسحاق والفضيل بن عياض وبشر الحافى وغيرهم — كثير فى ذمهم وتضليلهم .

وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدى الناس — مثل أكثر التأويلات التى ذكرها أبو بكر بن فورك فى « كتاب التأويلات » ، وذكرها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازى فى كتابه الذى سماه « تأسيس التقديس » ، ويوجد كثير منها فى كلام خلق كثير غير هؤلاء مثل أبى على الجبائى وعبد الجبار بن أحمد الهمدانى وأبى الحسين البصرى وأبى الوفاء بن عقيل وأبى حامد الغزالى وغيرهم — هى بعينها تأويلات بشر المريسى التى ذكرها فى كتابه ، وإن كان قد يوجد فى كلام بعض هؤلاء رد التأويل وإبطاله أيضاً ، ولهم كلام حسن فى أشياء . فإنما بينت أن عين تأويلاتهم هى عين تأويلات المريسى ، ويدل على ذلك كتاب الرد الذى صنفه عثمان بن سعيد الدارمى أحد الأئمة

المشاهير فى زمان البخارى صنف كتاباً وسماه (نقض عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى على الله من التوحيد) حكى فيه هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسى بكلام يقتضى أن المريسى أقعد بها وأعلم بالمنقول والمعقول من المتأخرين الذين اتصلت إليهم جهته وجهة غيره ، ثم رد ذلك عثمان بن سعيد بكلام إذا طالعه العاقل الذكى علم حقيقة ما كان عليه السلف ، وتبين له ظهور الحجة لطريقهم ، وضعف حجة من خالفهم

ثم إذا رأى الأئمة — أئمة الهدى — قد أجمعوا على ذم المريسية وأكثرهم كفروهم أو ضللوهم ، وعلم أن هذا القول السارى فى هؤلاء المتأخرين هو مذهب المريسى ، تبين الهدى لمن يريد الله هدايته ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . والفتوى لا تحتمل البسط فى هذا الباب ، وإنما أشير إشارة إلى مبادئ الأمور ، والعاقل يسبر وينظر .

وكلام السلف فى هذا الباب موجود فى كتب كثيرة لا يمكن أن نذكر ههنا إلا قليلا منه ، مثل كتاب السنن للالكائى ، والإبانة لابن بطة ، والسنة لأبى ذر الهروى ، والأصول لأبى عمر الطلمنكى ، وكلام أبى عمر بن عبد البر ، والأسماء والصفات للبيهقى ، وقبل ذلك السنة للطبرانى ولأبى الشيخ الأصبهانى ، ولأبى عبد الله بن منده ، ولأبى أحمد العسال الأصبهانيين ، وقبل ذلك السنة للخلال ، والتوحيد لابن خزيمة ، وكلام أبى العباس بن سريج ، والرد على الجهمية لجماعة مثل البخارى ، وشيخه عبد الله بن محمد ابن محمد بن عبد الله الجعفى ، وقبل ذلك السنة لعبد الله بن أحمد ، والسنة لأبى بكر ابن الأثرم ، والسنة لحنبل ، وللمروزى ، ولأبى داود السجستانى ، ولابن أبى شيبة ، والسنة لأبى بكر بن أبى عاصم ، وكتاب خلق أفعال العباد للبخارى ، وكتاب الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمى وغيرهم ، وكلام أبى العباس عبد العزيز المكى صاحب الحيدة فى الرد على الجهمية ، وكلام نعيم بن حماد الخزاعى ، وكلام غيرهم . وكلام الإمام أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، ويحيى بن سعيد ، ويحيى بن يحيى النيسابورى (١) وأمثالهم . وقبل ذلك لعبد الله بن المبارك وأمثاله (٢) ، وأشياء كثيرة .

---

(١) يحيى بن يحيى بن بكير بن عبد الرحمن بن يحيى الحنظلى التميمى ولاء أو نسباً الحافظ أحد الأئمة . قال إسحق ما رأيت مثله ولا رأى مثل نفسه هو أثبت من ابن المهدى . مات يوم مات وهو أمام الدنيا . قال النسائى مات الثقة المأمون سنة ٢٢٦ اهـ . خلاصة

(٢) أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى ولاء المروزى أحد الأئمة الأعلام وشيوخ الإسلام . قال بن عيينة : ابن المبارك عالم المشرق والمغرب وما بينهما . وقال شعبة : ما قدم علينا مثله . ولد سنة ١١٨ د . ومات سنة ١٨١ . اهـ . خلاصة

وعندنا من الدلائل السمعية والعقلية ما لا يتسع هذا الموضع لذكره . وأنا أعلم أن المتكلمين النفاة لهم شبهات موجودة ولكن لا يمكن ذكرها فى الفتوى ، فمن نظر فيها وأراد إبانة ما ذكروه من الشبه فأنه يسير (١) :

فإذا كان أصل هذه المقالة — مقالة التعطيل والتأويل — مأخوذاً عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود فكيف تطيب نفس مؤمن — بل نفس عاقل — أن يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم أو الضالين ، ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ؟

فصل

ثم القول الشامل فى جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله . وما وصفه به السابقون الأولون ، لا يتجاوز القرآن والحديث . قال الإمام أحمد رضى الله عنه : لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، لا يتجاوز القرآن والحديث . ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل . ونعلم أن ما وصف الله به نفسه من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجى ، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه — لا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول ، وأفصح الخلق فى بيان العلم ، وأفصح الخلق فى البيان والتعريف والدلالة والإرشاد . وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شىء ، لا فى نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ، ولا فى أفعاله . فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقة ، وله أفعال حقيقة ، فكذلك له صفات حقيقة ، وهو ليس كمثله شىء لا فى ذاته ، ولا فى صفاته ،

---

(١) قال الذهبى فى ترجمة على بن عبيد الله أبى الحسن الزعفرانى الفقيه الحنبلى : له تصانيف فيها أشياء من بحوث المعتزلة يدعوه بها لكونه نصرها ، وما هذا من خصائصه بل قل من أمعن النظر فى الكلام إلا وأداه إلى ذلك ، فإن علم الكلام مولد من علم الحكماء الدهرية . فمن رام الجمع بين علم الأنبياء عليهم السلام وبين علم الفلاسفة بذكائه فلا بد أن يخالف هؤلاء وهؤلاء ، ومن كف ومشى خلف ما جاءت به الرسل من إطلاق ما أطلقوا ولم يتحذلق ولا عمق — فإنهم صلوات الله عليهم أطلقوا وما عمقوا — فقد سلك طريق السلف الصالح ، وسلم له دينه ويقينه . نسأل الله السلامة فى الدين . اهـ .

ولا فى أفعاله . فكل ما أوجب نقصاً أو حدوثاً فإن الله منزه عنه حقيقة . فإنه سبحانه مستحق للكمال الذى لا غاية فوقه ، ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه ، واستلزام الحدوث سابقة العدم ، ولافتقار المحدث إلى محدث ، ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى .

ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل : فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه ، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ، فيعطلوا أسماءه الحسنى وصفاته العليا ، ويحرفوا الكلم عن مواضعه ، ويلحدوا فى أسماء الله وآياته .

وكل واحد من فريق التعطيل والتمثيل فهو جامع بين التعطيل والتمثيل : أما المعطلون فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق ، ثم شرعوا فى نفى تلك المفهومات ، فقد جمعوا بين التعطيل والتمثيل : مثلوا أولا ، وعطلوا آخراً ، وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته ، بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم ، وتعطيل لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة بالله سبحانه وتعالى ، فإنه إذا قال القائل : لو كان الله فوق العرش للزم إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساوياً ، وكل ذلك من المحال .. ونحو ذلك من الكلام فإنه لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأى جسم كان على أى جسم كان ، وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم . أما استواء يليق بجلال الله ويختص به فلا يلزمه شىء من اللوازم الباطلة التى يجب نفيها كما يلزم سائر الأجسام ، وصار هذا مثل قول الممثل : إذا كان للعالم صانع فإما أن يكون جوهراً أو عرضاً ، إذ لا يعقل موجود إلا هذان . وقوله إذا كان مستوياً على العرش فهو لاستواء الإنسان على السرير والفلك إذ لا يعلم الاستواء إلا هكذا ، فإن كليهما مثل وكليهما عطل حقيقة ما وصف الله به نفسه ، وامتاز الأول بتعطيل كل اسم للاستواء الحقيقى ، وامتاز الثانى بإثبات استواء هو من خصائص المخلوقين . والقول الفاصل هو ما عليه الأمة الوسط من أن الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به ، فكما أنه موصوف بأنه بكل شىء عليم ، وعلى كل شىء قدير ، وأنه سميع بصير ونحو ذلك ، ولا يجوز أن يثبت للعلم والقدرة خصائص الأعراض التى لعلم المخلوقين وقدرتهم ، فكذلك هو سبحانه فوق العرش ولا يثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق وملزوماتها .

واعلم أنه ليس فى العقل الصريح ، ولا فى شىء من النقل الصحيح ، ما يوجب مخالفة الطريق السلفية أصلا ، لكن هذا الموضع لا يتسع للجواب عن الشبهات الواردة على الحق ، فمن كان فى قلبه شبهة وأحب حلها فذلك سهل يسير .

ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الأمة من المتأولين لهذا الباب فى أمر مريج فإن من ينكر الرؤية يزعم أن العقل يحيلها وأنه مضطر فيها إلى التأويل ، ومن يحيل أن لله علماً وقدرة وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك يقول : إن العقل أحال ذلك فاضطر إلى التأويل ، بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقى فى الجنة يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل ، ومن يزعم أن الله ليس فوق العرش يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل . ويكفيك دليلا على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل ، بل منهم من يزعم أن العقل جوز وأوجب ما يدعى الآخر أن العقل أحاله ، ياليت شعرى بأى عقل يوزن الكتاب والسنة ؟ فرضى الله عن الإمام مالك بن أنس حيث قال : « أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم لجدل هؤلاء ؟ وكل من هؤلاء مخصوم بما خصم به الآخر ، وهو من وجوه : (**أحدها**) بيان أن العقل لا يحيل ذلك . و (**الثانى**) أن النصوص الواردة لا تحتمل التأويل . و (**الثالث**) أن عامة هذه الأمور قد علم أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء بها بالاضطرار ، كما أنه جاء بصلاة الخمس وصوم شهر رمضان . فالتأويل الذى يحيلها عن هذا بمنزلة تأويل القرامطة والباطنية فى الحج والصلاة والصوم وسائر ما جاءت به النبوات . (**الرابع**) أن يبين أن العقل الصريح يوافق ما جاءت به النصوص ، وإن كان فى النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عن درك التفصيل وإنما يعلمه مجملا ، إلى غير ذلك من الوجوه على أن الأساطين من هؤلاء الفحول معترفون بأن العقل لا سبيل له إلى اليقين فى عامة المطالب الإلهية . فإذا كان هكذا فالواجب تلقى علم ذلك من النبوات على ما هو عليه .

* * *

ومن المعلوم للمؤمنين أن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً ، وأنه بين للناس ما أخبرهم به من أمور الإيمان بالله واليوم الآخر . والإيمان بالله واليوم الآخر يتضمن الإيمان بالمبدأ والمعاد ،

وهو الإيمان بالخلق والبعث ، كما جمع بينهما فى قوله تعالى [البقرة ٨] : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ ، وقال تعالى [لقمان ٢٨] : ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ﴾ ، وقال تعالى [الروم ٢٧] : ﴿ وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ ، وقد بين الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الإيمان بالله واليوم الآخر ما هدى الله به عباده ، وكشف به مراده به . ومعلوم للمؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من غيره بذلك ، وأنصح من غيره للأمة ، وأفصح من غيره عبارة وبياناً ، بل هو أعلم الخلق بذلك وأنصح الخلق للأمة وأفصحهم ، فقد اجتمع فى حقه كمال العلم والقدرة والإرادة . ومعلوم أن المتكلم أو الفاعل إذا كمل علمه وقدرته وإرادته كمل كلامه وفعله، وإنما يدخل النقص إما من نقص علمه ، وإما من عجزه عن بيان علمه ، وإما لعدم إرادته البيان . والرسول هو الغاية فى كمال العلم ، والغاية فى كمال إرادة البلاغ المبين ، والغاية فى قدرته على البلاغ المبين . ومع وجود القدرة التامة والإرادة الجازمة يجب وجود المراد ، فعلم قطعاً أن ما بينه من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر حصل به مراده من البيان ، وما أراده من البيان فهو مطابق لعلمه ، وعلمه بذلك أكمل العلوم ، فكل من ظن أن غير الرسول أعلم بهذا منه ، وأكمل بياناً منه ، أو أحرص على هدى الخلق منه ، فهو من الملحدين ، لا من المؤمنين .

والصحابة التابعون لهم بإحسان ومن سلك سبيلهم فى هذا الباب على سبيل الاستقامة . وأما المنحرفون عن طريقهم فهم ثلاث طوائف : أهل التخييل ، وأهل التأويل ، وأهل التجهيل .

فأهل التخييل : هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف ومتفقه ، فإنهم يقولون : إن ما ذكر الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور ، لا أنه بين به الحق ، ولا هدى به الخلق ، ولا أوضح به الحقائق . ثم هم على قسمين : منهم من يقول : إن الرسول لم يعلم الحقائق على ما هى عليه ، ويقولون : إن من المتفلسفة الإلهية من علمها ، وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم الأولياء من علمها ، ويزعمون أن من الفلاسفة والأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين ، وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية : باطنية الشيعة وباطنية الصوفية . ومنهم من يقول : بل الرسول علمها لكن لم يبينها ، وإنما

تكلم بما يناقضها ، وأراد من الخلق فهْم ما يناقضها ، لأن مصلحة الخلق فى هذه الاعتقادات التى لا تطابق الحق . ويقول هؤلاء : يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطل ، وإلى اعتقاد معاد الأبدان مع أنه باطل ، ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون مع أن ذلك باطل . قالوا : لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريق التى تتضمن الكذب لمصلحة العباد ! فهذا قول هؤلاء فى نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر ، وأما الأعمال فمنهم من يقرها . ومنهم من يجريها هذا المجرى . ويقول : إنما يؤمر بها بعض الناس دون بعض ، ويؤمر بها العامة دون الخاصة (١) . فهذه طريقة الباطنية الملاحدة الإسماعيلية (٢) ونحوهم .

وأما أهل التأويل فيقولون : إن النصوص الواردة فى الصفات لم يقصد بها الرسول أن يعتقد الناس الباطل ، ولكن قصد بها معانى ، ولم يبين لهم تلك المعانى ، ولا دلهم عليها ، ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم ثم يجتهدوا فى صرف تلك النصوص عن مدلولها ، ومقصوده امتحانهم وتكليفهم وإتعاب أذهانهم وعقولهم فى أن يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه ، ويعرف الحق من غير جهته ، وهذا قول المتكلمة والجهمية والمعتزلة ومن دخل معهم فى شىء من ذلك .

والذين قصدنا الرد فى هذه الفتيا عليهم هم هؤلاء ، إذ كان نفور الناس عن الأولين مشهوراً ، بخلاف هؤلاء فإنهم تظاهروا بنصر السنة فى مواضع كثيرة ، وهم فى الحقيقة لا للإسلام نصروا ، ولا للفلاسفة كسروا . لكن أولئك الملاحدة ألزموهم فى النصوص نصوص المعاد — نظير ما ادعوه فى نصوص الصفات ، فقالوا لهم : نحن نعلم بالاضطرار أن الرسول جاء بمعاد الأبدان ، وقد علمنا فساد الشبهة المانعة منه . وأهل السنة يقولون لهؤلاء : ونحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بإثبات الصفات ، ونصوص الصفات فى الكتب الإلهية أكثر وأعظم من نصوص المعاد . ويقولون لهم : معلوم أن مشركى العرب وغيرهم كانوا ينكرون المعاد ، وقد أنكروه على الرسول وناظروه عليه ، بخلاف

---

(١) ومن ذلك قول فريد وجدى فى كتابه (الإسلام دين عام خالد) : « الدين للعامة ، لا للعلماء المنتهين »

(٢) هم العبيديون الذين تسموا فى مصر بالفاطميين ، ومن فروعهم الدروز أتباع الحاكم بأمر الله ، وإسماعيلية البهرة ، وإسماعيلية أغاخان

الصفات فإنه لم تكن العرب تنكرها ، فعلم أن إقرار العقول بالصفات أعظم من إقرارها بالمعاد ، وأن إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات ، فكيف يجوز مع هذا أن يكون ما أخبر به من الصفات ليس كما أخبر به ، وما أخبر به من المعاد هو على ما أخبر به ؟

وأيضاً فقد علم أنه صلى الله عليه وسلم قد ذم أهل الكتاب على ما حرفوه وبدلوه ، ومعلوم أن التوراة مملوءة من ذكر الصفات ، فلو كان هذا مما بدل وحرف لكان إنكار ذلك عليهم أولى ، فكيف وكانوا إذا ذكروا بين يديه الصفات ضحك تعجباً وتصديقاً لها ، ولم يعبهم قط بما تعيب النفاة لأهل الإثبات على لفظ التجسيم والتشبيه ونحو ذلك ، بل عابهم بقولهم [المائدة ٦٤] : ﴿ يد الله مغلولة ﴾ وقولهم [آل عمران ١٨١] : ﴿ إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ وقولهم : إنه استراح لما خلق السماوات والأرض ، فقال تعالى [سورة ق ٣٨] : ﴿ ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾ ، والتوراة مملوءة من الصفات المطابقة للصفات المذكورة فى القرآن ، فإذا جاز أن نتأول الصفات التى اتفق عليها الكتابان فتأويل المعاد الذى انفرد به أحدهما أولى ، والثانى مما يعلم بالاضطرار من دين الرسول أنه باطل فالأول أولى بالبطلان

وأما الصنف الثالث وهم أهل التجهيل فهم كثير من المنتسبين إلى السنة وأتباع السلف ، يقولون : إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعرف معانى ما أنزل الله إليه من آيات الصفات ولا جبريل يعرف معانى الآيات ، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك . وكذلك قولهم فى أحاديث الصفات : إن معناها لا يعلمه إلا الله ، مع أن الرسول تكلم بها ابتداء ، **فعلى قولهم** تكلم بكلام لا يعرف معناه .

وهؤلاء يظنون أنهم اتبعوا قوله تعالى [آل عمران ٧] : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ فإنه وقف أكثر السلف على قوله ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ وهو وقف صحيح لكن لم يفرقوا بين معنى الكلام وتفسيره ، وبين التأويل الذى انفرد الله تعالى بعلمه وظنوا أن التأويل المذكور فى كلام الله تعالى هو التأويل المذكور فى كلام المتأخرين وغلطوا فى ذلك ، فإن لفظ « التأويل » يراد به ثلاث معان :

فالتأويل — فى اصطلاح كثير من المتأخرين — هو صرف اللفظ عن الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك ، فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهره تأويلا على اصطلاح هؤلاء ، وظنوا أن مراد الله تعالى بلفظ التأويل ذلك ، وأن للنصوص تأويلا يخالف مدلولها لا يعلمه إلا الله ولا يعلمه المتأولون .

ثم كثير من هؤلاء يقولون تجرى على ظاهرها فظاهرها مراد مع قولهم : إن لها تأويلا بهذا المعنى لا يعلمه إلا الله ، وهذا تناقض وقع فيه كثير من هؤلاء المنتسبين إلى السنة من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم .

والمعنى الثانى أن التأويل هو تفسير الكلام سواء وافق ظاهره أو لم يوافقه ، وهذا هو معنى التأويل فى اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم ، وهذا التأويل يعلمه الراسخون فى العلم ، وهو موافق لوقف من وقف من السلف على قوله [آل عمران ٧] : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم ﴾ كما نقل ذلك عن ابن عباس ومجاهد ومحمد ابن جعفر بن الزبير ومحمد بن إسحاق وابن قتيبة وغيرهم ، وكلا القولين حق باعتبار كما بسطناه فى موضع آخر ، ولهذا نقل عن ابن عباس هذا وهذا ، وكلاهما حق .

والمعنى الثالث أن التأويل هو الحقيقة التى يئول الكلام إليها وإن وافقت ظاهره ، فتأويل ما أخبر الله به فى الجنة — من الأكل والشرب واللباس والنكاح وقيام الساعة وغير ذلك — هو الحقائق الموجودة أنفسها ، لا ما يتصور من معانيها فى الأذهان ويعبر عنه باللسان ، وهذا هو التأويل فى لغة القرآن كما قال عن يوسف أنه قال [يوسف ١٠٠] ﴿ يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقاً ﴾ ، وقال تعالى [الأعراف ٥٣] : ﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾ وقال تعالى [النساء ٥٩] : ﴿ فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ . وهذا التأويل هو الذى لا يعلمه إلا الله ، وتأويل الصفات هو الحقيقة التى انفرد الله تعالى بعلمها ، وهو الكيف المجهول . فالاستواء معلوم بعلم معناه ، ويفسر ويترجم بلغة أخرى ، وهو من التأويل الذى يعلمه الراسخون فى العلم ، وأما « كيفية » ذلك الاستواء فهو التأويل الذى لا يعلمه إلا الله تعالى .

وقد روى عن ابن عباس ما ذكره عبد الرزاق وغيره فى تفسيرهم عنه أنه قال « تفسير القرآن على أربعة أوجه : تفسير تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل ، فمن ادعى علمه فهو كاذب » . وهذا كما قال تعالى [السجدة ١٧] : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ قال النبى صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى : أعددت

لعبادى الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » ، وكذلك علم وقت الساعة ونحو ذلك ، فهذا من التأويل الذى لا يعلمه إلا الله تعالى وإن كنا نفهم معانى ما خوطبنا به ونفهم من الكلام ما قصد إفهامنا إياه ، كما قال تعالى [سورة محمد ٢٤] : ﴿أفلا يتدبرون القرآن ، أم على قلوب أقفالها﴾ !؟ وقال [المؤمنون ٦٨] : ﴿ أفلم يدبروا القول ﴾ فأمر بتدبر القرآن كله لا بتدبر بعضه ، وقال أبو عبد الرحمن السلمى : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن — عثمان بن عفان ، وعبد الله ابن مسعود ، وغيرهما — أنهم كانوا إذا تعلموا من النبى صلى الله عليه وسلم عشر آيات لا يتجاوزونها حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً . وقال مجاهد : عرضت المصحف على ابن عباس رضى الله عنهما من فاتحته إلى خاتمته ، أقف عند كل آية وأسأل عنها . وقال الشعبى : ما ابتدع أحد بدعة إلا وفى كتاب الله بيانها . وقال مسروق : ما سئل أصحاب محمد عن شىء إلا وعلمه فى القرآن ، ولكن علمنا قصر عنه . وهذا باب واسع قد بسط فى موضعه .

والمقصود هنا التنبيه على أصول المقالات الفاسدة التى أوجبت الضلالة فى باب العلم والإيمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن من جعل الرسول غير عالم بمعنى القرآن الذى نزل إليه ولا جبريل ، جعله غير عالم بالسمعيات ، ولم يجعل القرآن هدى ولا بياناً للناس .

ثم هؤلاء ينكرون العقليات فى هذا الباب بالكلية ، فلا يجعلون عند الرسول وأمته فى باب معرفة الله عز وجل لا علوماً عقلية ولا سمعية ، وهم شاركوا الملاحدة فى هذا من وجوه متعددة . وهم مخطئون فيما نسبوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى السلف من الجهل ، كما أخطأ فى ذلك أهل التحريف والتأويلات الفاسدة وسائر أصناف الملاحدة .

ونحن نذكر — من ألفاظ السلف بأعيانها وألفاظ من نقل مذهبهم إلى غير ذلك من الوجوه بحسب ما يحتمله هذا الموضع — ما يعلم به مذهبهم : روى أبو بكر البيهقى فى « الأسماء والصفات » بإسناد صحيح عن الأوزاعى قال : كنا — والتابعون متوافرون — نقول : إن الله — تعالى ذكره — فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من الصفات .

وقد حكى الأوزاعى — وهو أحد الأئمة الأربعة فى عصر تابعى التابعين الذين هم :

مالك إمام أهل الحجاز ، والأوزاعى إمام أهل الشام ، والليث إمام أهل مصر ، والثورى إمام أهل العراق — حكى شهرة القول فى زمن التابعين بالإيمان بأن الله تعالى فوق العرش وبصفاته السمعية . وإنما قال الأوزاعى هذا بعد ظهور مذهب جهم المنكر لكون الله فوق عرشه النافى لصفاته ، ليعرف الناس أن مذهب السلف كان يخالف هذا . وروى أبو بكر الخلال فى «كتاب السنة» عن الأوزاعى قال : سئل مكحول والزهرى عن تفسير الأحاديث فقالا : أمرُّوها كما جاءت . وروى أيضاً عن الوليد بن مسلم قال : سألت مالك بن أنس وسفيان الثورى والليث بن سعد والأوزاعى عن الأخبار التى جاءت فى الصفات فقالوا : أمرُّوها كما جاءت — وفى رواية — قالوا : أمروها كما جاءت بلا كيف . وقولهم رضى الله عنهم «أمروها كما جاءت» رد على المعطلة ، وقولهم «بلا كيف» رد على الممثلة . والزهرى ومكحول هما أعلم التابعين فى زمانهم ، والأربعة الباقون أئمة الدنيا فى عصر تابعى التابعين ، ومن طبقتهم حماد بن زيد وحماد بن سلمة وأمثالهما .

وروى أبو القاسم الأزجى بإسناده عن مطرف بن عبد الله قال : سمعت مالك ابن أنس إذا ذكر عنده من يدفع أحاديث الصفات يقول : قال عمر بن عبد العزيز : سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر بعده سنناً الأخذ بها تصديق لكتاب الله ، واستكمال لطاعة الله ، وقوة على دين الله . ليس لأحد من خلق الله تغييرها ولا النظر فى شيء خالفها ، من اهتدى بها فهو مهتد ، ومن استنصر بها فهو منصور ، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى ، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا .

وروى الخلال بإسناد كلهم أئمة ثقات عن سفيان بن عيينة قال : سئل ربيعة بن أبى عبد الرحمن عن قوله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كيف استوى ؟ قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، ومن الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ المبين ، وعلينا التصديق . وهذا الكلام مروى عن مالك بن أنس تلميذ ربيعة بن أبى عبد الرحمن من غير وجه . ومنها ما رواه أبو الشيخ الأصبهانى وأبو بكر البيهقى عن يحيى قال : كنا عند مالك بن أنس ، فجاء رجل فقال : يا أبا عبد الله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كيف استوى ؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، وما أراك إلا مبتدعاً . فأمر به أن يخرج .

فقول ربيعة ومالك « الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب » موافق لقول الباقين « أمرها كما جاءت بلا كيف » فإنما نفوا علم الكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة ، ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على مايليق بالله لما قالوا « الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول » ولما قالوا « أمروها كما جاءت بلا كيف » فإن الاستواء حينئذ لا يكون معلوماً بل مجهول بمنزلة حروف المعجم . وأيضاً فإنه لا يحتاج إلى نفى علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى ، إنما يحتاج إلى نفى علم الكيفية إذا أثبتت الصفات . وأيضاً فإن من ينفى الصفات الجزئية — أو الصفات مطلقاً — لا يحتاج إلى أن يقول « بلا كيف » فمن قال : إن الله ليس على العرش ، لا يحتاج أن يقول : بلا كيف ، فلو كان مذهب السلف نفى الصفات فى نفس الأمر لما قالوا بلا كيف . وأيضاً فقولهم « أمروها كما جاءت » يقتضى إبقاء دلالتها على ما هى عليه ، فإنها جاءت ألفاظ دالة على معانى ، فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد . أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة ، وحينئذ تكون قد أمرت كما جاءت ، ولا يقال حينئذ « بلا كيف » ، إذ نفى الكيف عما ليس بثابت لغو من القول .

وروى الأثرم فى « السنة » وأبو عبد الله بن بطة فى « الإبانة » وأبو عمرو الطلمنكى وغيرهم بإسناد صحيح عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة الماجشون — وهو أحد أئمة المدينة الثلاثة الذين هم مالك بن أنس وابن الماجشون وابن أبى ذئب — وقد سئل عما جحدت به الجهمية : « أما بعد فقد فهمت ما سألت فيما تتابعت الجهمية ومن خلفها فى صفة الرب العظيم الذى فاقت عظمته الوصف والتدبر ، وكلت الألسن عن تفسير صفته ، وانحصرت العقول دون معرفة قدرته ، وردت عظمته العقول فلم تجد مساغاً فرجعت خاسئة وهى حسيرة . وإنما أمروا بالنظر والتفكير ، فيما خلق بالتقدير ، وإنما يقال « كيف » لمن لم يكن مرة ثم كان . فأما الذى لا يحول ولا يزول ولم يزل وليس له مثل ، فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو : وكيف يعرف قدر من لم يبدأ ، ومن لا يموت ولا يبلى ؟ وكيف يكون لصفته شىء منه حد أو منتهى يعرفه عارف . أو يحد قدره واصف ؟ على أنه الحق المبين لا حق أحق منه ولا شىء أبين منه . الدليل على عجز العقول عن تحقيق صفته عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه لا تكاد تراه صغراً ،

يحول ويزول ، ولا يرى له سمع ولا بصر ، لما يتقلب به ويحتال من عقله ، أعضل بك وأخفى عليك مما ظهر من سمعه وبصره ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، وخالقهم ، وسيد السادة ، وربهم ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

اعرف رحمك الله غناك عن تكلف صفة ما لم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ما وصف منها ، إذا لم تعرف قدر ما وصف فما تكلفك علم ما لم يصف ؟ هل تستدل بذلك على شيء من طاعته ؟ أو تزجر به عن شيء من معصيته ؟ فأما الذى جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقاً وتكلفاً فقد [الأنعام ٧١] : ﴿ استهوته الشياطين فى الأرض حيران ﴾ ، فصار يستدل بزعمه على جحد ما وصف به الرب وسمى من نفسه بأن قال : لابد إن كان له كذا من أن يكون له كذا ، فعمى عن البين بالخفى ، فجحد ما سمى الرب من نفسه ، بصمت الرب عما لم يسم منها ، فلم يزل يملى له الشيطان حتى جحد قول الله عز وجل [الحديد ٢٢ — ٢٣] : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة ﴾ فقال : « لا يراه أحد يوم القيامة ، فجحد والله أفضل كرامة الله التى أكرم بها أولياءه يوم القيامة ، من النظر إلى وجهه ، نضرته إياهم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، قد قضى أنهم لا يموتون ، فهم بالنظر إليه ينضرون » — إلى أن قال — « وإنما جحد رؤية الله يوم القيامة إقامة للحجة الضالة المضلة ، لأنه قد عرف أنه إذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين وكان له جاحداً ، وقال المسلمون يا رسول الله هل ترى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تضارون فى رؤية الشمس ليس دونها سحاب » ؟ قالوا : لا . قال : فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا . قال : فإنكم ترون ربكم يومئذ كذلك » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تمتلىء النار حتى يضع الجبار فيها قدمه ، فتقول قط قط ، وينزوى بعضها إلى بعض » . وقال لثابت بن قيس « لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة » وقال فيما بلغنا « إن الله تعالى ليضحك من أزلكم[1] وقنوطكم وسرعة إجابتكم . فقال له رجل من العرب : إن ربنا ليضحك ؟ قال : نعم . قال : لا نعدم من رب يضحك خيراً » فى أشياء لهذا مما لا نحصيه . وقال تعالى ﴿ وهو السميع البصير ﴾ وقال [الطور ٤٨] : ﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ﴾ وقال تعالى

(١) الأزل : الضيق والشدة

[طه ٢٩] : ﴿ ولتصنع على عينى ﴾ وقال تعالى [ص ٧٥] : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ﴾ وقال تعالى [الزمر ٦٧] : ﴿ والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسماوات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ فوالله ما دلهم على عظم ما وصف به نفسه وما تحيط به قبضته إلا صغر نظيرها منهم عندهم ، إن ذلك الذى ألقى فى روعهم وخلق على معرفة قلوبهم ، فما وصف الله من نفسه فسماه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم سميناه كما سماه ، ولم تتكلف منه صفة ما سواء ، لا هذا ولا هذا ، ولا نجحد ما وصف ، ولا نتكلف معرفة ما لم يصف .

« اعلم رحمك الله أن العصمة فى الدين أن تنتهى فى الدين حيث انتهى بك ، ولا تجاوز ما قد حد لك ، فإن من قوام الدين معرفة المعروف وإنكار المنكر ، فما بسطت عليه المعرفة وسكنت إليه الأفئدة وذكر أصله فى الكتاب والسنة وتوارثت علمه الأمة فلا تخافن فى ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفسه عيباً ، ولا تكلفن بما وصف لك من ذلك قدراً . وما أنكرته نفسك ولم تجد ذكره فى كتاب ربك ولا فى حديث عن نبيك من ذكر صفة ربك فلا تكلفن علمه بعقلك ، ولا تصفه بلسانك ، واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه ، فإن تكلفك معرفة ما لم يصف من نفسه كإنكارك ما وصف منها ، فكما أعظمت ما جحده الجاحدون مما وصف من نفسه فكذلك أعظم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها ، فقد — والله عز المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يعرف ، وينكرون المنكر وبإنكارهم ينكر ، يسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا فى كتابه وما يبلغهم مثله عن نبيه ، فما مرض من ذكر هذا وتسميته قلب مسلم ، ولا تكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب مؤمن . وما ذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا تكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب مؤمن . وما ذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سماه من صفة ربه فهو بمنزلة ما سمى ووصف الرب تعالى من نفسه ، والراسخون فى العلم ، الواقفون حيث انتهى علمهم ، الواصفون لربهم بما وصف من نفسه ، التاركون لما ترك من ذكرها لا ينكرون صفة ما سمى منها جحداً ، ولا يتكلفون وصفه بما لم يسم تعمقاً ، لأن الحق ترك ما ترك ، وتسمية ما سمى ﴿ ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ﴾ [النساء ١١٥] « وهب الله لنا ولكم حكماً ، وألحقنا بالصالحين » .

وهذا كله كلام ابن الماجشون الإمام ، فتدبره وانظر كيف أثبت الصفات ونفى

علم « الكيفية » موافقاً لغيره من الأئمة ، وكيف أنكر على من نفى الصفات بأنه يلزمهم من إثباتها كذا وكذا كما تقوله الجهمية أنه يلزم أن يكون جسما أو عرضاً فيكون محدثاً .

وفى كتاب « الفقه الأكبر » المشهور عند أصحاب أبى حنيفة الذى رووه بإسناد عن أبى مطيع الحكم بن عبد الله البلخى قال : سألت أبا حنيفة عن الفقه الأكبر فقال : لا تكفرن أحداً بذنب ، ولا تنف أحداً به من الإيمان ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولا تتبرأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا توال أحداً دون أحد ، وأن ترد أمر عثمان وعلى إلى الله عز وجل .

قال أبو حنيفة : الفقه الأكبر فى الدين خير من الفقه فى العلم ، ولأن يفقه الرجل كيف يعبد ربه خير له من أن يجمع العلم الكثير . قال أبو مطيع : قلت : أخبرنى عن أفضل الفقه ، قال : تعلم الرجل الإيمان والشرائع والسنن والحدود واختلاف الأئمة — وذكر مسائل الإيمان ، ثم ذكر مسائل القدر والرد على القدرية بكلام حسن ليس هذا موضعه — ثم قال : قلت فما تقول فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيتبعه على ذلك أناس فيخرج على الجماعة ، هل ترى ذلك ؟ قال : لا . قلت ولم ؟ وقد أمر الله ورسوله بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهو فريضة واجبة قال : كذلك ، لكن ما يفسدون أكثر مما يصلحون من سفك الدماء واستحلال الحرام . قال — وذكر الكلام فى قتل الخوارج والبغاة إلى أن قال — قال أبو حنيفة عمن قال « لا أعرف ربى فى السماء أم فى الأرض » : فقد كفر لأن الله يقول [طه : ٥] ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ وعرشه فوق سبع سموات . قلت : فإن قال إنه على العرش استوى ولكنه يقول لا أدرى العرش فى السماء أم فى الأرض ؟ قال : هو كافر . لأنه أنكر أن يكون فى السماء ، لأنه تعالى فى أعلى عليين ، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل . وفى لفظ : سألت أبا حنيفة عمن يقول لا أعرف ربى فى السماء أم فى الأرض ؟ قال : قد كفر ، قال : لأن الله يقول ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ وعرشه فوق سبع سماوات . قال : فإنه يقول على العرش استوى ، ولكن لا يدرى العرش فى الأرض أم فى السماء قال : إذا أنكر أنه فى السماء فقد كفر

فى هذا الكلام المشهور عن أبى حنيفة عند أصحابه أنه كفر الواقف الذى يقول لا أعرف ربى فى السماء أم فى الأرض ، فكيف يكون النافى الجاحد الذى يقول ليس

فى السماء ولا فى الأرض ؟ واحتج على كفره بقوله ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ قال : وعرشه فوق سبع سماوات . وبين بهذا أن قوله تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ بين أن الله فوق السماوات ، فوق العرش ، وأن الاستواء على العرش دل على أن الله نفسه فوق العرش ، ثم إنه أردف ذلك بتكفير من قال إنه على العرش استوى ولكن توقف فى كون العرش فى السماء أم فى الأرض ، قال : لأنه أنكر أنه فى السماء ، لأن الله فى أعلى عليين ، وإنه يدعى من أعلى لا من أسفل . وهذا تصريح من أبى حنيفة بتكفير من أنكر أن يكون الله فى السماء ، واحتج على ذلك بأن الله فى أعلى عليين ، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل . وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية ، فإن القلوب مفطورة على الإقرار بأن الله فى العلو ، وعلى أنه يدعى من أعلى لا من أسفل . وقد جاء اللفظ الآخر صريحاً عنه بذلك فقال : إذا أنكر أنه فى السماء فقد كفر . وروى هذا اللفظ بإسناد عنه شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصارى الهروى فى كتاب « الفاروق » ، ورواه أيضاً ابن أبى حاتم أن هشام بن عبيد الله الرازى صاحب محمد بن الحسن القاضى الذى حبس رجلا فى التجهم فتاب فجيء به إلى هشام ليطلقه فقال : الحمد لله على التوبة فامتحنه هشام فقال : أتشهد أن الله على عرشه بائن ممن خلقه ؟ فقال : أشهد أن الله على عرشه ، ولا أدرى ما بائن من خلقه . فقال : ردوه إلى الحبس فإنه لم يتب وروى أيضاً عن يحيى بن معاذ الرازى أنه قال : إن الله على العرش ، بائن من الخلق وقد أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً . لا يشك فى هذه المقالة إلا جهمى ردىء ضليل ، وهالك مرتاب ، يمزج الله بخلقه ويخلط منه الذات بالأقذار والأنتان وروى أيضاً عن ابن المدينى لما سئل : ما قول أهل الجماعة ؟ قال : يؤمنون بالرؤية والكلام ، وأن الله فوق السماوات على العرش استوى . فسئل عن قوله [المجادلة : ٧] ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾ فقال اقرأ ما قبلها ﴿ ألم تر أن الله يعلم ما فى السماوات وما فى الأرض ﴾ وروى أيضاً عن أبى عيسى الترمذى قال : هو على العرش كما وصف فى كتابه ، وعلمه وقدرته وسلطانه فى كل مكان . وروى عن أبى زرعة الرازى أنا لما سئل عن تفسير قوله [طه : ٥] ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ فقال : تفسيره كما تقرأ : هو على العرش ، وعلمه فى كل مكان ، ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله . وروى أبو القاسم اللالكائى الحافظ الطبرى صاحب أبى حامد الاسفراينى فى كتابه المشهور فى « أصول السنة » بإسناده عن محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة قال : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن ، والأحاديث

التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صفة الرب عز وجل ، من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه ، فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج عما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وفارق الجماعة ، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ، ولكن افتوا بما فى الكتاب والسنة ثم سكتوا ، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة لأنه قد وصفه بصفة لا شيء .

محمد بن الحسن أخذ عن أبي حنيفة ومالك وطبقتهما من العلماء . وقد حكى هذا الإجماع وأخبر أن الجهمية المعطلة الذين ابتدعوا تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون من الأثبات .

وروى البيهقي وغيره بإسناد صحيح عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال : هذه الأحاديث التي يقول فيها ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب خيره ، وأن جهنم لا تمتلئ حتى يضع ربك فيها قدمه ، والكرسى موضع القدمين ، وهذه الأحاديث فى الرؤية ، هى عندنا حق حملها الثقات بعضهم عن بعض ، غير أنا إذا سئلنا عن تفسيرها لا نفسرها ، وما أدركنا أحداً يفسرها .

أبو عبيد أحد الأئمة الأربعة الذين هم الشافعي وأحمد وإسحاق وأبو عبيد ، وله من المعرفة بالفقه واللغة والتأويل ما هو أشهر من أن يوصف ، وقد كان فى الزمان الذى ظهرت فيه الفتن والأهواء ، فقد أخبر أنه ما أدرك أحداً من العلماء يفسرها تفسير الجهمية .

وروى اللالكائي والبيهقي عن عبد الله بن المبارك أن رجلا قال له : يا أبا عبد الرحمن ، إنى أكره الصفة ، عن صفة الرب . فقال له عبد الله بن المبارك : أنا أشد الناس كراهية لذلك ، ولكن إذا نطق الكتاب بشيء قلنا به ، وإذا جاءت الآثار بشيء جسرنا عليه . أو نحو هذا . أراد ابن المبارك أنا نكره أن نبتدئ بوصف الله من ذات أنفسنا حتى يجيء به الكتاب والآثار . وروى عبد الله بن أحمد وغيره بإسناد صحيح عن ابن المبارك أنه قيل له : بماذا نعرف ربنا ؟ قال : بأنه فوق السماوات على عرشه ، بائن من خلقه ، ولا نقول كما تقول الجهمية : إنه ههنا فى الأرض . وهكذا قال الإمام أحمد وغيره .

وروى بإسناد صحيح عن سليمان بن حرب الإمام : سمعت حماد بن زيد وذكر هؤلاء الجهمية فقال : إنما يحاولون أن يقولوا ليس فى السماء شيء .

وروى ابن أبي حاتم فى كتاب « الرد على الجهمية » عن سعيد بن عامر الضبعى إمام أهل البصرة علماً وديناً من شيوخ الإمام أحمد أنه ذكر عنده الجهمية فقال : أشر قولا من اليهود والنصارى ، وقد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش ، وقالوا هم : ليس على شيء .

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة إمام الأئمة : من لم يقل إن الله فوق سماواته على عرشه ، بائن من خلقه ، وجب أن يستتاب ، فإن تاب وإلا ضربت عنقه ثم ألقى على مزبلة لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة ولا أهل الذمة ، ذكره عنه الحاكم بإسناد صحيح .

وروى عبد الله ابن الإمام أحمد بإسناده عن عباد بن العوام الواسطى إمام أهل واسط من طبقة شيوخ الشافعي وأحمد قال : كلمت بشرا المريسى وأصحاب بشر ، فرأيت آخر كلامهم ينتهى أن يقولوا : ليس فى السماء شيء .

وعن عبد الرحمن بن مهدى الإمام المشهور أنه قال : ليس فى أصحاب الأهواء شر من أصحاب جهم ، يدورون على أن يقولوا : ليس فى السماء شيء ، أرى والله أن لا يناكحوا ولا يوارثوا . وروى عبد الرحمن بن أبي حاتم فى كتاب « الرد على الجهمية » عن عبد الرحمن بن مهدى قال : أصحاب جهم يريدون أن يقولوا : إن الله لم يكلم موسى ، ويريدون أن يقولوا : ليس فى السماء شيء ، وأن الله ليس على العرش . أرى أن يستتابوا ، فإن تابوا وإلا قتلوا .

وعن الأصمعى قال : قدمت امرأة جهم فنزلت بالدباغين ، فقال رجل عندها : الله على عرشه . فقالت : محدود على محدود . وقال الأصمعى : كفرت بهذه المقالة

وعن عاصم بن على بن عاصم شيخ أحمد والبخارى وطبقتهما قال : ناظرت جهمياً ، فتبين من كلامه أنه لا يؤمن أن فى السماء رباً .

وروى الإمام أحمد قال : أخبرنا سريج بن نعمان قال : سمعت عبد الله بن نافع الصائغ قال : سمعت مالك بن أنس يقول : الله فى السماء وعلمه فى كل مكان لا يخلو من علمه مكان .

وقال الشافعي : خلافة أبي بكر الصديق حق قضاه فى السماء ، وجمع عليه قلوب عباده . وفى الصحيح عن أنس بن مالك قال : كانت زينب تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول : زوجكن أهاليكن ، وزوجنى الله من فوق سبع سموات . وهذا مثل قول الشافعي .

وقصة أبي يوسف صاحب أبي حنيفة مشهورة فى استتابة بشر المريسى حتى هرب منه لما أنكر الصفات وأظهر قول جهم ؛ قد ذكرها ابن أبي حاتم وغيره .

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (١) الإمام المشهور من أئمة المالكية فى كتابه الذى صنفه فى « أصول السنة » قال فيه :

باب الإيمان بالعرش

قال : « ومن قول أهل السنة أن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ، ثم استوى عليه كيف شاء كما أخبر عن نفسه فى قوله [طه : ٥] ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ وقوله [الحديد : ٤] ﴿ استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض ﴾ الآية . فسبحان من بعد وقرب بعلمه فسمع النجوى . وذكر حديث أبي رزين العقيلى « قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض ؟ قال : فى عماء ، ما تحته هواء ، وما فوقه هواء . ثم خلق عرشه على الماء » قال محمد : العماء السحاب الكثيف المطبق فيما ذكره الخليل . وذكر آثاراً أخر ثم قال :

باب الإيمان بالكرسى

قال محمد بن عبد الله (١) « ومن قول أهل السنة أن الكرسى بين يدى العرش ، وأنه موضع القدمين » . ثم ذكر حديث أنس الذى فيه التجلى يوم الجمعة فى الآخرة وفيه « فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه ثم يحف الكرسى على منابر من ذهب مكللة بالجواهر ، ثم يجىء النبيون فيجلسون عليها » . وذكر ما ذكره يحيى بن سالم صاحب التفسير المشهور : حدثنى العلاء بن هلال عن عمار الدهنى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال « إن الكرسى الذى وسع السماوات والأرض لموضع القدمين . ولا يعلم قدر العرش إلا الذى خلقه » . وذكر من حديث أسد بن موسى حدثنا حماد ابن سلمة عن زر عن ابن مسعود قال « ما بين السماء الدنيا والتى تليها مسيرة خمسمائة عام ، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والكرسى خمسمائة عام ، وبين الكرسى والماء خمسمائة عام ، والعرش فوق الماء ، والله فوق العرش ، وهو يعلم ما أنتم عليه » .

(١) محمد بن عبد الله بن أبي زمنين المرى الألبيرى الغرناطى المتوفى سنة ٣٩٩

ثم قال (١) فى « باب الإيمان بالحجب » قال : ومن قول أهل السنة إن الله بائن من خلقه ، يحتجب عنهم بالحجب ، فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً . وذكر آثاراً فى الحجب .

ثم قال فى « باب الإيمان بالنزول » قال : ومن قول أهل السنة أن الله ينزل إلى سماء الدنيا ، ويؤمنون بذلك من غير أن يحدوا فيه حداً . وذكر الحديث من طريق مالك وغيره — إلى أن قال — وأخبرنى وهب عن ابن وضاح عن الزهرى عن ابن عباد قال : ومن أدركت من المشايخ — مالك وسفيان وفضيل بن عياض وعيسى بن المبارك ووكيع — كانوا يقولون : إن النزول حق ، قال ابن وضاح : وسألت يوسف بن عدى عن النزول قال : نعم أومن به ، ولا أحدُّ فيه حداً . وسألت عنه ابن معين فقال : نعم . أمر به ولا أحد فيه حداً .

قال محمد (١) : وهذا الحديث يبين أن الله عز وجل على العرش فى السماء دون الأرض ، وهو أيضاً بين فى كتاب الله وفى غير حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى [السجدة : ٤] ﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه ﴾ وقال تعالى [الملك : ١٥ — ١٦] ﴿ ءأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور ؟ أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصباً ﴾ ، وقال تعالى [فاطر : ١٠] ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ ، وقال [الأنعام : ١٨] ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ وقال تعالى [آل عمران : ٥٥] ﴿ يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ ﴾ وقال [النساء : ١٥٨] ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾ .

وذكر (١) من طريق مسالك قول النبى صلى الله عليه وسلم للجارية « أين الله ؟ قالت : فى السماء . قال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله . قال : فأعتقها » قال : والأحاديث مثل هذا كثيرة جداً . فسبحان من علمه بما فى السماء كعلمه بما فى الأرض ، لا إله إلا هو العلى العظيم .

وقال (١) قبل ذلك فى الإيمان بصفات الله تعالى وسمائه قال « واعلم بأن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به عن نفسه علماً ، والعجز

---

(١) أى ابن أبى زمنين

(٢) أى محمد بن عبد الله بن أبى زمنين فى كتاب « أصول السنة »

عما يدعو عليه إيماناً ، وإنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث أنهى فى كتابه على لسان نبيه ، وقد قال وهو أصدق القائلين : [القصص : ٨٨] ﴿ كل شىء هالك إلا وجهه ﴾ ، [الأنعام : ١٩] ﴿ قل أى شىء أكبر شهادة ؟ قل الله شهيد بينى وبينكم ﴾ وقال [آل عمران ٣٠] : ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ وقال [ص : ٨٢] ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحى ﴾ وقال [الطور : ٤٨] ﴿ فإنك بأعيننا ﴾ وقال [طه : ٣٩] ﴿ ولتصنع على عينى ﴾ وقال [المائدة : ٦٤] ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ﴾ وقال [الزمر : ٦٧] ﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ﴾ الآية ، وقال [طه : ٤٦] ﴿ إنى معكما أسمع وأرى ﴾ وقال [النساء : ١٦٤] ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾ وقال تعالى [النور : ٣٥] ﴿ الله نور السماوات والأرض ﴾ الآية ، وقال [البقرة : ٢٥٥] ﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم ﴾ الآية ، وقال [الحديد : ٣] ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾ ، ومثل هذا فى القرآن كثير ، فهو تبارك وتعالى نور السماوات والأرض كما أخبر عن نفسه ، وله وجه ونفس وغير ذلك مما وصف به نفسه ، ويسمع ويرى ويتكلم ، هو الأول لا شىء قبله ، والآخر الباقى إلى غير نهاية ولا شىء بعده ، والظاهر العالى فوق كل شىء ، والباطن بطن علمه بخلقه فقال [البقرة ٣٩] : ﴿ وهو بكل شىء عليم ﴾ قيوم حى لا تأخذه سنة ولا نوم .

وذكر (١) أحاديث الصفات ، ثم قال : « فهذه صفات ربنا التى وصف بها نفسه فى كتابه ، ووصفه بها نبيه ، وليس فى شىء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير ، ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، لم تره العيون فتحده كيف هو ؟ ولكن رأته القلوب فى حقائق الإيمان » اهـ .

وكلام الأئمة فى هذا الباب أطول وأكثر من أن تسع هذه الفتيا عشره ؛ وكذلك كلام الناقلين لمذهبهم مثل ما ذكره أبو سليمان الخطابى فى رسالته المشهورة فى الغنية عن الكلام وأهله قال « فأما ما سألت عنه من الصفات وما جاء منها فى الكتاب والسنة فإن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ونفى الكيفية والتشبيه عنها ، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله ، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا فى ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف ، وإنما القصد فى سلوك الطريقة المستقيمة بين الأمرين ، ودين الله تعالى بين الغالى فيه والمقصر عنه ، والأصل فى هذا أن الكلام فى الصفات فرع عن الكلام

---

(١) المصدر السابق

فى الذات ، ويحتذى فى ذلك حذوه ومثاله ، فإذا كان معلوماً أن إثبات البارى سبحانه إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية ، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف ، فإذا قلنا يد وسمع وبصر وما أشبهها فإنما هى صفات أثبتها الله لنفسه ، ولسنا نقول : إن معنى اليد القوة والنعمة ، ولا معنى السمع والبصر العلم ؛ ولا نقول إنها جوارح ، ولا نشبهها بالأيدى والأسماع والأبصار التى هى جوارح وأدوات للفعل ، ونقول : إن القول إنما وجب بإثبات الصفات لأن التوقيف ورد بها ، ووجب نفى التشبيه عنها لأن الله ليس كمثله شيء ، وعلى هذا جرى قول السلف فى أحاديث الصفات » . هذا كله كلام الخطابى .

وهكذا قاله أبو بكر الخطيب الحافظ فى رسالة له أخبر فيها أن مذهب السلف على ذلك .

وهذا الكلام الذى ذكره الخطابى قد نقل نحواً منه من العلماء من لا يحصى عددهم ، مثل أبى بكر الإسماعيلى ، والإمام يحيى بن عمار السجزى ، وشيخ الإسلام أبى إسماعيل الهروى ، ومثل أبى عثمان الصابونى شيخ الإسلام ، وأبى عمر بن عبد البر النمرى إمام المغرب ، وغيرهم .

وقال أبو نعيم الأصبهانى صاحب « الحلية » فى عقيدة له قال فى أولها « طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة . قال : فما اعتقدوه أن الأحاديث التى ثبتت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى العرش واستواء الله يقولون بها ويثبتونها ، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ، وأن الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه ، لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم ، وهو مستو على عرشه فى سمائه دون أرضه وخلقه » .

وقال الحافظ أبو نعيم فى كتابه « محجة الواثقين ، ومدرجة الوامقين » تأليفه : « وأجمعوا أن الله فوق سماواته ، عال على عرشه ، مستو عليه ، لا مستول عليه كما تقول الجهمية أنه بكل مكان خلافاً لما نزل فى كتابه [الملك : ١٦] ﴿ ءأمنتم من فى السماء ﴾ ، [فاطر : ١٠] ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ ، [طه : ٥] ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ له العرش المستوى عليه الكرسى الذى وسع السماوات والأرض . وقوله [البقرة : ٢٥٥] ﴿ وسع كرسيه السماوات والأرض ﴾ وكرسيه جسم ، والأرضون السبع والسماوات السبع عند الكرسى كحلقة فى أرض فلاة ، وليس كرسيه علمه كما قالت الجهمية ، بل يوضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه كما قال النبى

صلى الله عليه وسلم ، وأنه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده والملائكة صفاً صفاً كما قال تعالى [الفجر : ٢٢] ﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفاً ﴾ وزاد النبي صلى الله عليه وسلم : وأنه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده فيغفر لمن يشاء من مذنبي الموحدين ، ويعذب من يشاء، كما قال تعالى [البقرة : ١٢٩] ﴿ يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾ .

وقال الإمام العارف معمر بن أحمد الأصبهانى شيخ الصوفية فى حدود المائة الرابعة فى بلاده ، قال « أحببت أن أوصى أصحابى بوصية من السنة وموعظة من الحكمة ، وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر بلا كيف ، وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين » ، قال فيها :

« وإن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل ، والاستواء معقول والكيف فيه مجهول . وإنه عز وجل بائن من خلقه والخلق منه بائنون ، بلا حلول ولا ممازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة ، لأنه الفرد البائن من الخلق ، الواحد الغنى عن الخلق . وإن الله عز وجل سميع بصير ، عليم خبير ، يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويعجب ، ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكاً .

وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء الله فيقول « هل من داع فاستجيب له ، هل من مستغفر فأغفر له ، هل من تائب فأتوب عليه ؟ حتى يطلع الفجر » . ونزول الرب إلى السماء بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل ، فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال ، وسائر الصفوة من العارفين على هذا » اهـ

وقال الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال فى « كتاب السنة » : حدثنا أبو بكر الأثرم حدثنا إبراهيم بن الحارث — يعنى العبادى — حدثنا الليث بن يحيى قال : سمعت إبراهيم بن الأشعث قال أبو بكر — هو صاحب الفضيل — قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : ليس لنا أن نتوهم فى الله كيف هو ؟ لأن الله تعالى وصف نفسه فأبلغ فقال ﴿ قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد ﴾ فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه . وكل هذا النزول والضحك وهذه المباهاة وهذا الاطلاع ، كما يشاء أن ينزل ، وكما يشاء أن يباهى ، وكما يشاء أن يضحك ، وكما يشاء أن يطلع ، فليس [لنا] أن نتوهم كيف وكيف ؟ فإذا قال الجهمى أنا أكفر برب يزول عن مكانه ، فقل : بل أومن برب يفعل ما يشاء .

ونقل هذا عن الفضيل جماعة منهم البخارى فى « أفعال العباد » .

ونقله شيخ الإسلام (١) بإسناده فى كتابه « الفاروق » ؛ فقال : حدثنا يحيى بن عمار حدثنا أبى حدثنا يوسف بن يعقوب حدثنا حرمى بن على البخارى وهانئ بن النضر عن الفضيل .

وقال عمرو بن عثمان المكى (٢) فى كتابه الذى سماه « التعرف بأحوال العباد والمتعبدين » قال فى باب ما يجىء به الشيطان للتائبين ، وذكر أنه يوقعهم فى القنوط ، ثم فى الغرور وطول الأمل ، ثم فى التوحيد فقال « من أعظم ما يوسوس فى التوحيد بالتشكيك ، أو فى صفات الرب بالتمثيل والتشبيه أو بالجحد لها والتعطيل ، فقال بعد ذكر حديث الوسوسة : « واعلم رحمك الله أن كل ما توهمه قلبك ، أو سنح فى مجارى فكرك ، أو خطر فى معارضات قلبك ، من حسن أو بهاء أو ضياء أو إشراق أو جمال ، أو شبح مائل ، أو شخص متمثل ، فالله تعالى بغير ذلك ، بل هو تعالى أعظم وأجل وأكبر . ألا تسمع لقوله [الشورى : ١١] ﴿ ليس كمثله شىء ﴾ وقوله ﴿ ولم يكن له كفوا أحد ﴾ أى لا شبيه ولا نظير ولا مساوى ولا مثل . أو لم تعلم أنه لما تجلى للجبل تدكدك لعظم هيبته وشامخ سلطانه ، فكما لا يتجلى لشىء إلا اندك ، كذلك لا يتوهمه أحد إلا هلك ، فرد — بما بين الله فى كتابه من نفسه عن نفسه — التشبيه والمثل والنظير والكفؤ . فإن اعتصمت بها وامتنعت منه أتاك من قبل التعطيل لصفات الرب تعالى وتقدس فى كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقال لك : إذا كان موصوفاً بكذا أو وصفته أوجب له التشبيه ، فأكذبه ، لأنه اللعين إنما يريد أن يستزلك ويغويك ويدخلك فى صفات الملحدين الزائغين الجاحدين لصفة الرب تعالى . واعلم رحمك الله تعالى أن الله تعالى واحد لا كالآحاد ، فرد صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » .

إلى أن قال « خلصت له الأسماء السنية فكانت واقعة فى قديم الأزل بصدق الحقائق ، لم يستحدث تعالى صفة كان منها خلياً ، ولا اسماً كان منه برياً ، تبارك وتعالى فكان هادياً سيهدى ، وخالقاً سيخلق ، ورازقاً سيرزق ، وغافراً سيغفر ، وفاعلا سيفعل ، ولم يحدث له الاستواء إلا وقد كان فى صفته أنه سيكون ذلك الفعل ، فهو يسمى به فى جملة فعله ،

---

(١) هو أبو اسماعيل عبد الله بن محمد الهروى الحنبلى المتوفى سنة ٤٨١

(٢) من نظراء الجنيد ، كبير القدر ، عده صاحب شذرات الذهب فى وفيات سنة ٢٩٧ هـ وقال : شيخ الصوفية ، صاحب التصانيف فى الطريق

كذلك قال الله تعالى [الفجر : ٢٢] ﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفا ﴾ بمعنى أنه سيجيء، فلم يستحدث الاسم بالمجيء وتخلف الفعل لوقت المجيء ، فهو جاء سيجيء ، ويكون المجيء منه موجوداً بصفة لا تلحقه الكيفية ولا التشبيه ، لأن ذلك فعل الربوبية ، فيستحسر العقل ، وتنقطع النفس عند إرادة الدخول فى تحصيل كيفية المعبود ، فلا تذهب فى أحد الجانبين : لا معطل ، ولا مشبه . وارض لله بما رضى به لنفسه ، وقف عند خبره لنفسه مسلماً مستسلماً مصدقاً ، بلا مباحثة التنفير ، ولا مناسبة التنقير » .

إلى أن قال (١) « فهو تبارك وتعالى القائل : أنا الله لا الشجرة ، الجائى قبل أن يكون جائياً لا أمره ، المتجلى لأوليائه فى المعاد فتبيض به وجوههم وتفلج به على الجاحدين حجتهم ، المستوى على عرشه بعظمة جلاله فوق كل مكان ، تبارك وتعالى الذى كلم موسى تكليما ، وأراه من آياته ، فسمع موسى كلام الله لأنه قربه نجيًّا ، تقدس أن يكون كلامه مخلوقاً أو محدثاً أو مربوباً ، الوارث بخلقه لخلقه ، السميع لأصواتهم ، الناظر بعينه إلى أجسامهم ، يداه مبسوطتان وهما غير نعمته . خلق آدم ونفخ فيه من روحه ، وهو أمره . تعالى وتقدس أن يحل بجسم ، أو يمازج بجسم ، أو يلاصق به ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً . الشائى له المشيئة ، العالم له العلم ، الباسط يديه بالرحمة ، النازل كل ليلة إلى سماء الدنيا ليتقرب إليه خلقه بالعبادة ، وليرغبوا إليه بالوسيلة . القريب فى قربه من حبل الوريد ، البعيد فى علوه من كل مكان بعيد . ولا يشبه بالناس » . إلى أن قال ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ القائل [الملك : ١٦] ﴿ ءأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور ؟ أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا ﴾ ؟ تعالى وتقدس أن يكون فى الأرض كما هو فى السماء ، جل عن ذلك علواً كبيراً » اهـ .

وقال الإمام أبو عبد الله الحارث بن إسماعيل بن أسد المحاسبى فى كتابه المسمى « فهم القرآن » قال فى كلامه على الناسخ والمنسوخ : وأن النسخ لا يجوز فى الأخبار قال « لا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله وصفاته ولا أسماءه يجوز أن ينسخ منها شىء » ، إلى أن قال : « وكذلك لا يجوز إذا أخبر أن صفاته حسنة علياً أن يخبر بذلك أنها دنية سفلى ، فيصف نفسه بأنه جاهل ببعض الغيب بعد أن أخبر أنه عالم بالغيب ، وأنه لا يبصر ما قد كان ، ولا يسمع الأصوات ، ولا قدرة له ، ولا يتكلم ولا كلام كان منه.

(١) أى عمرو بن عثمان المكى

وأنه تحت الأرض لا على العرش ، جل وعلا عن ذلك . فإذا عرفت ذلك واستيقنته علمت ما يجوز عليه النسخ وما لا يجوز » فإن تلوت آية فى ظاهر تلاوتها تحسب أنها ناسخة لبعض أخباره كقوله عن فرعون [يونس : ٩٠] ﴿ فلما أدركه الغرق قال آمنت ﴾ الآيات وقال [سورة محمد : ٣١] ﴿ حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ﴾ وقال : قد تأول قوم أن الله عنى أن ينجيه ببدنه من النار لأنه آمن عند الغرق وقال : إنما ذكر الله أن قوم فرعون يدخلون النار دونه ، وقال [هود : ٩٨] ﴿ فأوردهم النار ﴾ وقال [غافر : ٤٥] ﴿ وحاق بآل فرعون سوء العذاب ﴾ ولم يقل بفرعون ، قال : وهكذا الكذب على الله لأن الله تعالى يقول [النازعات : ٢٥] ﴿ فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ﴾ وكذلك قوله [العنكبوت : ٣] ﴿ فليعلمن الله الذين صدقوا ﴾ فأقر التلاوة على استئناف العلم من الله عز وجل عن أن يستأنف علماً بشيء ، لأنه من ليس له علم بما يريد أن يصنعه لم يقدر أن يصنعه ، نجده ضرورة . قال [الملك : ١٤] ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ قال إنما قوله [محمد : ٣١] ﴿ حتى نعلم المجاهدين ﴾ إنما يريد حتى نراه فيكون معلوماً موجوداً ، لأنه لا جائز أن يكون يعلم الشيء معدوماً من قبل أن يكون ويعلمه موجوداً كان قد كان ، فيعلم فى وقت واحد معدوماً موجوداً وإن لم يكن ، وهذا محال » .

وذكر — أى الحارث المحاسبى — كلاماً فى هذا فى الإرادة ، إلى أن قال : « وكذلك قوله [الشعراء : ١٥] ﴿ إنا معكم مستمعون ﴾ ليس معناه أن يحدث له سمعاً ، ولا تكلف بسمع ما كان من قولهم . وقد ذهب قوم من أهل السنة أن لله استماعاً فى ذاته فذهبوا إلى أن ما يعقل من أنه يحدث منهم علم سمع لما كان من قول ، لأن المخلوق إذا سمع حدث له عقد فهم عما أدركته أذنه من الصوت ، وكذلك قوله [التوبة : ١٠٥] ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله ﴾ لا يحدث بصراً محدثاً فى ذاته ، وإنما يحدث الشيء فيراه مكوناً كما لم يزل يعلم قبل كونه » إلى أن قال : « وكذلك قوله تعالى [الأنعام : ١٨ و٦١] ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ وقوله [طه : ٥] ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ وقوله : [الملك : ١٦] ﴿ ءأمنتم من فى السماء ﴾ وقوله [فاطر : ١٠] ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصالح يرفعه ﴾ ، وقال [السجدة : ٥] ﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه ﴾ وقال [المعارج : ٤] ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ وقال لعيسى [آل عمران : ٥٥] ﴿ إنى متوفيك ورافعك إلىّ ومطهرك من الذين كفروا ﴾ الآية وقال [النساء : ١٥٨] ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾ وقال [الأعراف : ٢٠٦] ﴿ إن الذين عند ربك

لا يستكبرون عن عبادته ﴾ وذكر الآلهة أن لو كان آلهة لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا حيث هو فقال [الإسراء : ٤٢] ﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا ﴾ أى طلبوه . وقال ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ . قال أبو عبد الله(١) « فلن ينسخ ذلك لهذا أبداً » كذلك قوله [الزخرف : ٨٤] ﴿ وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله ﴾ وقوله [ق : ١٦] ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ وقوله [الأنعام : ٣] ﴿ وهو الله فى السماوات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ﴾ وقوله [المجادلة : ٧] ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾ الآية ، فليس هذا بناسخ لهذا . ولا هذا ضد لذلك .

« واعلم أن هذه الآيات ليس معناها أن الله أراد الكون بذاته فيكون فى أسفل الأشياء أو ينتقل فيها لانتقالها ويتبعض فيها على أقدارها ، ويزول عنها عند فنائها ، جل وعز عن ذلك . وقد نزع بذلك بعض أهل الضلال فزعموا أن الله فى كل مكان بنفسه كائناً كما هو على العرش لا فرقان بين ذلك ، ثم أحالوا فى النفى بعد تثبيت ما يجوز عليه فى قولهم ما نفوه ، لأن كل من يثبت شيئاً فى المعنى ثم نفاه بالقول لم يغن عنه نفيه بلسانه ، واحتجوا بهذه الآيات أن الله تعالى فى كل شىء بنفسه كائناً ، ثم نفوا معنى ما أثبتوا فقالوا : لا كالشىء فى الشىء .

« قال أبو عبد الله (١) : لنا قوله ﴿ حتى نعلم ﴾ و ﴿ سيرى الله ﴾ ، ﴿ إنا معكم مستمعون ﴾ فإنما معناه حتى يكون الموجود فيعلمه موجوداً ويسمعه مسموعاً ويبصره مبصراً ، لا على استحداث علم ولا سمع ولا بصر . وأما قوله ﴿ إذا أردنا ﴾ إذا جاء وقت كون المراد فيه ، وإن قوله ﴿ على العرش استوى ﴾ ؛ ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ الآية ، ﴿ ءأمنتم من فى السماء ﴾ ، ﴿ إذاً لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا ﴾ فهذا وغيره مثل قوله ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ ، ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ هذا منقطع يوجب أنه فوق العرش فوق الأشياء كلها منزه عن الدخول فى خلقه لا يخفى عليه منهم خافية ، لأنه أبان فى هذه الآيات أنه أراد أنه بنفسه فوق عباده لأنه قال ﴿ ءأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض ﴾ يعنى فوق العرش ، والعرش على السماء ، لأن من قد كان فوق كل شىء على السماء فى السماء ، وقد قال مثل ذلك فى قوله [التوبة : ٢] ﴿ فسيحوا فى الأرض ﴾ يعنى على الأرض لا يريد الدخول فى جوفها ، وكذلك قوله [المائدة : ٢٦] ﴿ يتيهون فى الأرض ﴾ يعنى على الأرض لا يريد الدخول فى جوفها ، وكذلك قوله

---

(١) أى المحاسبى

[طه : ٧١] ﴿لأصلبنكم فى جذوع النخل﴾ يعنى فوقها عليها وقال ﴿ءأمنتم من فى السماء﴾ ثم فصل فقال ﴿ أن يخسف بكم الأرض﴾ ولم يصل ، فلم يكن لذلك معنى إذا فصل قوله ﴿من فى السماء ﴾ ثم استأنف التخويف بالخسف ، إلا أنه على عرشه فوق السماء . وقال تعالى [السجدة : ٥] ﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه ﴾ وقال [المعارج : ٤] ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه﴾ فبين عروج الأمر وعروج الملائكة ، ثم وصف وقت صعودها بالارتفاع صاعدة إليه فقال ﴿ فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ فقال صعودها إليه ، وفصله من قوله « إليه » كقول القائل : أصعد إلى فلان فى ليلة أو يوم ، وذلك أنه فى العلو ، وأن صعودك إليه فى يوم ، فإذا صعدوا إلى العرش فقد صعدوا إلى الله عز وجل ، وإن كانوا لم يروه ولم يساووه فى الارتفاع فى علوه ، فإنهم صعدوا من الأرض وعرجوا بالأمر إلى العلو ، قال تعالى [النساء : ١٥٨] ﴿ بل رفعه الله إليه﴾ ولم يقل عنده ، وقال فرعون [غافر : ٣٦ — ٣٧] ﴿ ياهامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب ، أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى ﴾ ثم استأنف الكلام فقال ﴿وإنى لأظنه كاذباً﴾ فيما قال لى أن إلهه فوق السماوات ، فبين الله سبحانه وتعالى أن فرعون ظن بموسى أنه كاذب فيما قال ، وعمد لطلبه ، حيث قاله مع الظن بموسى أنه كاذب ، ولو أن موسى قال إنه فى كل مكان بذاته لطلبه فى بيته أو فى بدنه أو حشه ، فتعالى الله عن ذلك ، ولم يجهد نفسه ببنيان الصرح .

قال أبو عبد الله (١) وأما الآى التى يزعمون أنها قد وصلها ولم يقطعها كما قطع الكلام الذى أراد به أنه على عرشه فقال [المجادلة : ٧] ﴿ ألم تر أن الله يعلم ما فى السماوات وما فى الأرض ﴾ فأخبر بالعلم ، ثم أخبر أنه مع كل مناج ، ثم ختم بالعلم بقوله ﴿ إن الله بكل شيء عليم ﴾ فبدأ بالعلم وختم بالعلم ، فبين أنه أراد أن يعلمهم حيث كانوا لا يخفون عليه ولا تخفى عليه مناجاتهم ، ولو اجتمع القوم فى أسفل ، وناظر إليهم فى العلو ، فقال : إنى لم أزل أراكم وأعلم مناجاتكم لكان صادقاً ، ولله المثل الأعلى أن يشبه الخلق ، فإن أبوا إلا ظاهر التلاوة وقالوا : هذا منكم دعوى ، خرجوا عن قولهم فى ظاهر التلاوة ، لأن من هو مع الإثنين فأكثر هو معهم لا فيهم ومن كان مع شيء خلا جسمه . وهذا خروج من قولهم . وكذلك قوله تعالى [ق ١٦] ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد لأن ما قرب من الشيء ليس هو فى الشيء ، ففى ظاهر التلاوة على دعواهم أنه ليس فى

(١) أى المحاسبى .

حبل الوريد ، وكذلك قوله [الزخرف : ٨٤] ﴿وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله﴾ لم يقل فى السماء ثم قطع كما قال [١٤ : الملك] ﴿ءأمنتم من فى السماء﴾ ثم قطع فقال ﴿أن يخسف بكم الأرض﴾ ، وقال ﴿وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله﴾ يعنى إله أهل السماء وإله أهل الأرض وذلك موجود فى اللغة تقول : فلان أمير فى خراسان ، وأمير فى بلخ ، وأمير فى سمرقند ، وإنما هو فى موضع واحد ويخفى عليه ما وراءه ، فكيف العالى فوق الأشياء لا يخفى عليه شىء من الأشياء يدبره ، فهو إله فيهما إذ كان مدبراً لهما ، وهو على عرشه وفى كل شىء (١) ، تعالى عن الأشباه والأمثال » اهـ .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن خفيف (٢) فى كتابه الذى سماه « اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء الصفات » قال فى آخر خطبته : فاتفقت أقوال المهاجرين والأنصار فى توحيد الله عز وجل ومعرفة أسمائه وصفاته وقضائه قولا واحداً وشرعاً ظاهراً وهم الذين نقلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك حتى قال « عليكم بسنتى » وذكر الحديث (٣) وحديث « لعن الله من أحدث حدثاً » قال فكانت كلمة الصحابة على الاتفاق من غير اختلاف ، وهم الذين أمرنا بالأخذ عنهم ، إذ لم يختلفوا بحمد الله تعالى فى أحكام التوحيد وأصول الدين من الأسماء والصفات كما اختلفوا فى الفروع ، ولو كان منهم فى ذلك اختلاف لنقل إلينا كما نقل سائر الاختلاف ، فاستقر صحة ذلك عند خاصتهم وعامتهم حتى أدوا ذلك إلى التابعين لهم بإحسان ، فاستقر صحة ذلك عند العلماء المعروفين ، حتى نقلوا ذلك قرناً بعد قرن ، لأن الاختلاف كان عندهم فى الأصل كفراً . ولله المنة .

« ثم إنى قائل — وبالله أقول — : لما اختلفوا فى أحكام التوحيد ، وذكر الأسماء والصفات ، على خلاف منهج المتقدمين من الصحابة والتابعين ، فخاض فى ذلك من لم يعرفوا بعلم الآثار ، ولم يعقلوا قولهم بذكر الأخبار ، وصار معولهم على أحكام هوى

---

(١) لعل الصواب « وفوق كل شىء » .

(٢) الشيرازى شيخ إقليم فارس ، صاحب الأحوال والمقامات ، المتمسك بالكتاب والسنة ، الفقيه على مذهب الشافعى . كان من أولاد الأمراء فتزهد : توفى فى رمضان سنة ٣٧١ . اهـ من شذرات الذهب .

(٣) يعنى حديث العرباض بن سارية « وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون . فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا ، قال : أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد . وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومضلات الفتن فإن كل بدعة ضلالة » قال فى الترغيب والترهيب فى باب الترغيب فى اتباع الكتاب والسنة : رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه . وقال الترمذى : حسن صحيح .

النفس المستخرجة من سوء الظن به على مخالفة السنة ، والتعلق منهم بآيات لم يسعدهم فيها ما وافق النفوس ، فتأولوا على ما وافق هواهم ، وصححوا بذلك مذهبهم ، احتجت إلى الكشف عن صفة المتقدمين ، ومأخذ المؤمنين ، ومنهاج الأولين ، خوفاً من الوقوع فى جملة أقاويلهم التى حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته ومنع المستجيبين له حتى حذروهم » . ثم ذكر أبو عبد الله (١) خروج النبى صلى الله عليه وسلم وهم يتنازعون فى القدر وغضبه ، وحديث « لا ألفين أحدكم (٢) » وحديث « ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة » وأن الناجية ماكان عليه هو وأصحابه ، ثم قال « فلزم الأمة قاطبة معرفة ماكان عليه الصحابة ، ولم يكن الوصول إليه إلا من جهة التابعين لهم بإحسان ، المعروفين بنقل الأخبار ، ممن لا يقبل المذاهب المحدثة ، فيتصل ذلك قرناً بعد قرن ممن عرفوا بالعدالة والأمانة الحافظين على الأمة ما لهم وما عليهم من إثبات السنة » إلى أن قال :

« فأول ما نبتدئ به ما أوردنا هذه المسألة من أجله ذكر أسماء الله عز وجل فى كتابه ، وما بين صلى الله عليه وسلم من صفاته فى سنته ، وما وصف به عز وجل مما سنذكر قول القائلين بذلك ، مما لا يجوز لنا فى ذلك أن نرده إلى أحكام عقولنا بطلب الكيفية بذلك ، ومما قد أمرنا بالاستسلام له » إلى أن قال : « ثم إن الله تعرف إلينا — بعد إثبات الوحدانية والإقرار بالألوهية — أن ذكر تعالى فى كتابه بعد التحقيق بما بدأ من أسمائه وصفاته وأكد عليه السلام بقوله ، فقبلوا منه كقبولهم لأوائل التوحيد من ظاهر قوله لا إله إلا الله ، إلى أن قال « بإثبات نفسه بالتفصيل من المجمل فقال لموسى عليه السلام [طه : ٤١] ﴿ واصطنعتك لنفسى﴾ وقال [آل عمران : ٣٠] ﴿ ويحذركم الله نفسه﴾ ، ولصحة ذلك واستقرار ما جاء به المسيح عليه السلام فقال [المائدة : ١١٦] ﴿ تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ﴾ ، وقال عز وجل [الأنعام : ٥٤] ﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾ وأكد عليه السلام صحة إثبات ذلك فى سنته فقال « يقول الله عز وجل : من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى » ، وقال « كتب كتاباً بيده على نفسه : إن رحمتى غلبت غضبى » ، وقال « سبحان الله رضا نفسه » وقال فى محاجة آدم لموسى « أنت الذى اصطفاك الله واصطنعك لنفسه » ، فقد صح بظاهر قوله أنه أثبت لنفسه

---

(١) يعنى ابن خفيف (٢) يعنى حديث أبى رافع مرفوعاً « لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمرى فيقول : لا أدرى ، ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه » رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه والبيهقى فى « دلائل النبوة » قاله فى « المشكاة »

نفساً وأثبت له الرسول ذلك ، فعلى من صدق الله ورسوله اعتقاد ما أخبر به عن نفسه ويكون ذلك مبنياً على ظاهر قوله [الشورى : ١١] ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ .

ثم قال « فعلى المؤمنين خاصتهم وعامتهم قبول كل ما ورد عنه عليه السلام بنقل العدل عن العدل حتى يتصل به صلى الله عليه وسلم ، وإن مما قضى الله علينا فى كتابه ووصف به نفسه ووردت السنة بصحة ذلك أن قال [النور : ٣٥] ﴿ الله نور السماوات والأرض ﴾ ثم قال عقيب ذلك ﴿ نور على نور ﴾ وبذلك دعاه صلى الله عليه وسلم « أنت نور السماوات والأرض » . ثم ذكر حديث أبى موسى « حجابه النور — أو النار — لو كشفه لا حرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » وقال « سبحات وجهه » جلاله ونوره — نقله عن الخليل وأبى عبيد . وقال عبد الله بن مسعود « نور السماوات » نور وجهه .

ثم قال (١) « ومما ورد به النص أنه حى وذكر قوله تعالى [البقرة : ٢٢٥] ﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم ﴾ والحديث ، يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث » قال (١) : « ومما تعرف الله إلى عباده أن وصف نفسه أن له وجهاً موصوفاً بالجلال والإكرام ، فاثبت لنفسه وجهاً » وذكر الآيات ثم ذكر حديث أبى موسى المتقدم فقال : فى هذا الحديث من أوصاف الله عز وجل « لا ينام » موافق لظاهر الكتاب [البقرة : ٢٥٥] ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ وأن له وجهاً موصوفاً بالأنوار ، وأن له بصراً ، كما علمنا فى كتابه أنه سميع بصير . ثم ذكر الأحاديث فى إثبات الوجه وفى إثبات السمع والبصر والآيات الدالة على ذلك ، ثم قال (١) « ثم إن الله تعالى تعرف إلى عباده المؤمنين أن قال : له يدان قد بسطهما بالرحمة ، وذكر الأحاديث فى ذلك ثم ذكر شعر أمية بن أبى الصلت ، ثم ذكر حديث « يلقى فى النار وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع فيها رجله » وهى رواية البخارى ، وفى رواية أخرى « يضع عليها قدمه » ثم ما رواه مسلم البطين عن ابن عباس . أن الكرسى موضع القدمين ، وأن العرش لا يقدر قدره إلا الله . وذكر قول مسلم البطين نفسه وقول السدى وقول وهب بن منبه وأبى مالك ، وبعضهم يقول « موضع قدميه » وبعضهم يقول « واضع رجليه عليه » .

ثم قال (١) « فهذه الروايات قد رويت عن هؤلاء من صدر هذه الأمة موافقة

---

(١) ابن خفيف .

لقول النبي صلى الله عليه وسلم متداولة فى الأقوال ومحفوظة فى الصدور ، ولا ينكر خلف عن السلف ولا ينكر عليهم أحد من نظرائهم ، نقلتها الخاصة والعامة مدونة فى كتبهم ، إلى أن حدث فى آخر الأمة من قلل الله عددهم ممن حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مجالستهم ومكالمتهم وأمرنا أن لا نعود مرضاهم ولا نشيع جنائزهم ، فقصد هؤلاء إلى هذه الروايات فضربوها بالتشبيه ، وعمدوا إلى الأخبار فعملوا فى دفعها إلى أحكام المقاييس وكفر المتقدمين ،وأنكروا على الصحابة والتابعين ، وردوا على الأئمة الراشدين ، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل » .

ثم ذكر (١) المأثور عن ابن عباس وجوابه لنجدة الحرورى . ثم حديث الصورة (٢) وذكر أنه صنف فيه كتاباً مفرداً واختلاف الناس فى تأويله ، ثم قال (١) « وسنذكر أصول السنة وما ورد من الاختلاف فيما نعتقده فيما خالفنا فيه أهل الزيغ وما وافقنا فيه أصحاب الحديث من المثبتة إن شاء الله » . ثم ذكر الخلاف فى الإمامة واحتج عليها ، وذكر اتفاق المهاجرين والأنصار على تقديم الصديق وأنه أفضل الأمة ، ثم قال (١) « وكان الاختلاف فى خلق الأفعال : هل هى مقدرة أم لا » ؟ قال « وقولنا فيها أن أفعال العباد مقدرة معلومة » وذكر إثبات القدر ، ثم ذكر الخلاف فى أهل الكبائر ، ومسألة الأسماء والأحكام ، وقال « قولنا فيها أنهم مؤمنون على الإطلاق ، وأمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء عفا عنهم » ، وقال « أصل الإيمان موهبة يتولد منها أفعال العباد ، فيكون أصل التصديق والإقرار والأعمال » وذكر الخلاف فى زيادة الإيمان ونقصانه وقال « قولنا إنه يزيد وينقص » قال « ثم كان الاختلاف فى القرآن مخلوقاً وغير مخلوق ، فقولنا وقول أئمتنا أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأنه صفة الله ، منه بدأ قولا وإليه يعود حكما » ثم ذكر الخلاف فى الرؤية وقال « قولنا وقول أئمتنا فيما نعتقد أن الله يرى فى القيامة » وذكر الحجة .

ثم قال (١) « اعلم رحمك الله أنى ذكرت أحكام الاختلاف على ما ورد من ترتيب المحدثين فى كل الأزمنة ، وقد بدأت أن أذكر أحكام الجمل من العقود فأقول : ونعتقد أن الله عز وجل له عرش ، وهو على عرشه ، فوق سبع سماواته . بكل أسمائه وصفاته كما قال [طه : ٥] ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [السجدة : ٥] ﴿ يدبر الأمر من

---

(١) حديث « خلق الله آدم على صورته » .

(٢) أى ابن خفيف .

من السماء إلى الأرض ﴾ ولا نقول إنه فى الأرض كما هو فى السماء على عرشه ، لأنه عالم بما يجرى على عباده ثم يعرج إليه » إلى أن قال « ونعتقد أن الله تعالى خلق الجنة والنار ، وأنهما مخلوقتان للبقاء لا للفناء » إلى أن قال « ونعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم عرج بنفسه إلى سدرة المنتهى » إلى أن قال «ونعتقد أن الله قبض قبضتين فقال : هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار . ونعتقد أن للرسول صلى الله عليه وسلم حوضاً ، ونعتقد أنه أول شافع وأول مشفع » وذكر الصراط والميزان والموت ، وأن المقتول قتل بأجله واستوفى رزقه ، إلى أن قال « ومما نعتقد أن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا فى ثلث الليل الآخر فيبسط يده فيقول : ألا هل من سائل » ؟ الحديث (١) وليلة النصف من شعبان وعشية عرفة . وذكر الحديث فى ذلك . قال (٢) « ونعتقد أن الله تعالى كلم موسى تكليما ، واتخذ إبراهيم خليلا ، وأن الخلة غير الفقر ، لا كما قال أهل البدع . ونعتقد أن الله تعالى خص محمداً صلى الله عليه وسلم بالرؤية ، واتخذه خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا . ونعتقد أن الله تعالى اختص بمفتاح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله [لقمان ٣٤] : ﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾ الآية . ونعتقد أن المسح على الخفين ثلاثاً للمسافر ويوماً وليلة للمقيم . ونعتقد الصبر على السلطان من قريش على ما كان من جور أو عدل ما أقام الصلاة من الجمع والأعياد ، والجهاد معهم ماض إلى يوم القيامة ، والصلاة فى الجماعة حيث ينادى لها واجب إذا لم يكن عذر أو مانع . والتراويح سنة . ونشهد أن من ترك الصلاة عمداً فهو كافر ، والشهادة والبراءة بدعة ، والصلاة على من مات من أهل القبلة سنة ، ولا ننزل أحداً جنة ولا ناراً حتى يكون الله ينزلهم . والمراء والجدال فى الدين بدعة . ونعتقد أن ما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم إلى الله ، ونترحم على عائشة ونترضى عنها ، والقول فى اللفظ والملفوظ وكذلك فى الاسم والمسمى بدعة ، والقول فى الإيمان مخلوق أو غير مخلوق بدعة » .

« واعلم أنى ذكرت اعتقاد أهل السنة على ظاهر ما ورد عن الصحابة والتابعين مجملا من غير استقصاء ، إذ تقدم القول من مشايخنا المعروفين من أهل الإبانة والديانة ، إلا أنى أحببت أن أذكر عقود أصحابنا المتصوفة فيما أحدثته طائفة نسبوا إليهم ما قد تخرصوا من القول بما نزه الله تعالى المذهب وأهله من ذلك » إلى أن قال (٢) « وقرأت

---

(١) وهو فى صحيح البخارى ، فى مواضع .

(٢) أى ابن خفيف .

لمحمد بن جرير الطبرى فى كتاب سماه التبصير » كتب بذلك إلى أهل طبرستان فى اختلاف عندهم ، وسألوه أن يصنف لهم ما يعتقده ويذهب إليه ، فذكر فى كتابه اختلاف القائلين برؤية الله تعالى ، فذكر عن طائفة إثبات الرؤية فى الدنيا والآخرة ، ونسب هذه المقالة إلى الصوفية قاطبة لم يخص طائفة ، فبين أن ذلك على جهالة منه بأقوال المخلصين منهم ، وكان من نسب إليه ذلك القول بعد أن ادعى على الطائفة ابن أخت عبد الواحد بن زيد (١) — والله أعلم بمحله عند المخلصين فكيف بابن أخته ، وليس إذا أحدث الزائغ فى نحلته قولا نسب إلى الجملة ، كذلك فى الفقهاء والمحدثين ليس من أحدث قولا فى الفقه — وليس فيه حديث يناسب ذلك — ينسب ذلك إلى جملة الفقهاء والمحدثين » .

« واعلم أن لفظ الصوفية وعلومهم تختلف ، فيطلقون ألفاظهم على موضوعات لهم ومرموزات وإشارات تجرى فيما بينهم ، فمن لم يداخلهم على التحقيق ونازل ما هم عليه رجع عنهم وهو خاسئ وحسير » .

ثم ذكر (٢) إطلاقهم لفظ الرؤية بالتقييد فقال : كثيراً ما يقولون رأيت الله يقول وذكر عن جعفر بن محمد قوله — لما سئل : هل رأيت الله حين عبدته ؟ — قال رأيت الله ثم عبدته . فقال السائل : كيف رأيته ؟ فقال : لم تره الأبصار بتحديد الأعيان ، ولكن رؤية القلوب بتحقيق الأيقان . ثم قال « وإنه تعالى يرى فى الآخرة كما أخبر فى كتابه وذكره رسوله صلى الله عليه وسلم ، هذا قولنا وقول أئمتنا ، دون الجهال من أهل الغباوة فينا . وإن مما نعتقده أن الله حرم على المؤمنين دماءهم وأموالهم وأعراضهم ، وذكر ذلك فى حجة الوداع ، فمن زعم أنه يبلغ مع الله إلى درجة يبيح له ما حظر على المؤمنين — إلا المضطر على حال يلزمه إحياء النفس لو بلغ العبد ما بلغ من العلم والعبادات — فذلك كفر بالله ، وقائل ذلك قائل بالإباحة ، وهم المنسلخون من الديانة .

« وإن مما نعتقده ترك إطلاق تسمية العشق على الله تعالى. وبين أن ذلك لا يجوز لاشتقاقه ولعدم ورود الشرع به ، وقال : أدنى ما فيه أنه بدعة وضلالة . وفيما نص الله من ذكر المحبة كفاية . وأن مما نعتقده أن الله لا يحل فى المرئيات ، وأنه المنفرد بكمال أسمائه وصفاته ، بائن من خلقه ، مستو على عرشه ، وأن القرآن كلامه غير

---

(١) البصرى الزاهد شيخ الصوفية كان ممن أدرك الحسن البصرى وأخذ عنه ، له ترجمة فى الميزان ولسانه فيها جرحه وتعديله

(٢) ابن خفيف .

مخلوق حيث ما تلى ودرس وحفظ . ونعتقد أن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلا ، ونبينا محمداً صلى الله عليه وسلم خليلا وحبيباً ، والخلة لهما منه على خلاف ما قاله المعتزلة أن الخلة الفقر والحاجة » إلى أن قال : « والخلة والمحبة صفتان لله هو موصوف بهما ، ولا تدخل أوصافه تحت التكييف والتشبيه ، وصفات الخلق من المحبة والخلة جائز عليها الكيف ، فأما صفاته تعالى فعلومة فى العلم ، وموجودة فى التعريف ، قد انتفى عنها التشبيه ، فالإيمان به واجب ، واسم الكيفية عن ذلك ساقط .

ومما نعتقد أن الله أباح المكاسب والتجارات والصناعات ، وإنما حرم الله الغش والظلم ، وأما من قال بتحريم تلك المكاسب فهو ضال مضل مبتدع ، إذ ليس الفساد والظلم والغش من التجارات والصناعات فى شىء ، إنما حرم الله ورسوله الفساد لا الكسب والتجارات ، فإن ذلك على أصل الكتاب والسنة جائز إلى يوم القيامة . وإن مما نعتقده أن الله لا يأمر بأكل الحلال ثم يعدمهم الوصول إليه من جميع الجهات ، لأن ما طالبهم به موجود إلى يوم القيامة . والمعتقد أن الأرض تخلو من الحلال والناس يتقبلون فى الحرام فهو مبتدع ضال ، إلا أنه يقل فى موضع ويكثر فى موضع لا أنه مفقود من الأرض . ومما نعتقده أنا إذا رأينا من ظاهر جميل لا نتهمه فى مكسبه وماله وطعامه ، وجائز أن يؤكل طعامه ، والمعاملة فى تجارته ، فليس علينا الكشف عما قاله ، فإن سأل سائل على سبيل الاحتياط جاز ، إلا من داخل الظلمة ، ومن ينزع عن الظلم وأخذ الأموال بالباطل ومعه غير ذلك فالسؤال والتوقى ، كما سأل الصديق غلامه ، فإن كان معه من المال سوى ذلك مما هو خارج عن الأموال فاختلطا فلا يطلق عليه اسم الحلال ولا الحرام إلا أنه مشتبه ، فمن سأل استبرأ لدينه كما فعل الصديق ، وأجاز ابن مسعود وسلمان الأكل منه وعليه التبعة ، والناس طبقات والدين الحنيفية السمحة .

« وإن مما نعتقد أن العبد ما دامت أحكام الدار جارية عليه فلا يسقط عنه الخوف والرجاء ، وكل من ادعى الأمن فهو جاهل بالله وبما أخبر به عن نفسه [الأعراف : ٩٩] ﴿ ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ ، وقد أفردت كشف عورات من قال بذلك . ونعتقد أن العبودية لا تسقط عن العبد ما عقل وعلم ما له وما عليه على أحكام القوة والاستطاعة ، إذ لم يسقط الله ذلك عن الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، ومن زعم أنه قد خرج عن رق العبودية إلى فضاء الحرية بإسقاط العبودية والخروج إلى أحكام الأحدية المسدية بعلائق الآخرية فهو كافر لا محالة ، إلا من اعتراه علة أو رقة فصار معتوهاً أو مجنوناً أو مبرسماً وقد اختلط عقله ، أو لحقه غشية ارتفع عنه

بها أحكام العقل وذهب عنه التمييز والمعرفة ، فذلك خارج عن الملة مفارق للشريعة .
ومن زعم الإشراف على الخلق يعلم مقاماتهم ومقدارهم عند الله — بغير الوحى المنزل من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم — فهو خارج عن الملة . ومن ادعى أنه يعرف مآل الخلق ومنقلبهم ، وعلى ماذا يموتون عليه ويختم لهم ، بغير الوحى من قول الله وقول رسوله ، فقد باء بغضب من الله . والفراسة حق على أصول ما ذكرناه ، وليس ذلك مما رسمناه فى شىء ، ومن زعم أن صفاته تعالى بصفاته — ويشير فى ذلك إلى غير آية العظمة والتوفيق والهداية — وأشار إلى صفاته عز وجل القديمة فهو حلولى قائل باللاهوتية والالتحام ، وذلك كفر لا محالة .

ونعتقد أن الأرواح كلها مخلوقة ، ومن قال إنها غير مخلوقة فقد ضاهى قول النصارى النسطورية فى المسيح ، وذلك كفر بالله العظيم . ومن قال إن شيئاً من صفات الله حال فى العبد ، أو قال بالتبعيض على الله فقد كفر .

والقرآن كلام الله ليس بمخلوق ، ولا حال فى مخلوق ، وإنه — كيفما تلى وقرئ وحفظ — فهو صفة الله عز وجل ، وليس الدرس من المدروس ، ولا التلاوة من المتلو ، لأنه عز وجل بجميع صفاته وأسمائه غير مخلوق ، ومن قال بغير ذلك فهو كافر

ونعتقد أن القراءة الملحنة بدعة وضلالة ، وأن القصائد بدعة ومجراها على قسمين : فالحسن من ذلك ذكر آلاء الله ونعمائه ، وإظهار نعت الصالحين وصفة المتقين ، فذلك جائز ، وتركه والاشتغال بذكر الله والقرآن والعلم أولى به . وما جرى على وصف المرئيات ونعت المخلوقات فاستماع ذلك كفر ، واستماع الغناء والربعيات على الله كفر ، والرقص بالإيقاع ونعت الرقاصين على أحكام الدين فسق ، وعلى أحكام التواجد والغناء لهو ولعب ، وحرام على كل من يسمع القصائد والربعيات الملحنة الجائى بين أهل الأطباع على أحكام الذكر إلا لمن تقدم له العلم بأحكام التوحيد ومعرفة أسمائه وصفاته وما يضاف إلى الله تعالى من ذلك وما لا يليق به عز وجل مما هو منزه عنه ، فيكون استماعه كما قال [الزمر : ١٨] ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ الآية ، وكل من جهل ذلك وقصد استماعه على الله غير تفصيل فهو كافر لا محالة ، فكل من جمع القول وأصغى بالإضافة إلى الله فغير جائز ، إلا لمن عرف بما وصفت من ذكر الله ونعمائه ، وما هو موصوف به عز وجل مما ليس للمخلوقين فيه نعت ولا وصف ، بل ترك ذلك أولى وأحوط . والأصل فى ذلك أنها بدعة ، والفتنة فيها غير مأمونة

على استماع الغناء ، والربعيات بدعة ، وذلك مما أنكره المطلبي (الشافعي) ومالك والثوري ويزيد بن هارون وأحمد بن حنبل وإسحاق ، والاقتداء بهم أولى من الاقتداء بمن لا يعرفون في الدين ولا لهم قدم عند المخلصين . وبلغني أنه قيل لبشر بن الحارث (١) : إن أصحابك قد أحدثوا شيئاً يقال له القصائد ، قال : مثل ايش ؟ قال : مثل قوله « اصبري يانفس حتى تسكني دار الجليل » فقال حسن ، وأين يكون هؤلاء الذين يستمعون ذلك ؟ قال قلت ببغداد . فقال : كذبوا ، والله الذي لا إله غيره لا يسكن ببغداد من يستمع ذلك .

قال أبو عبد الله (٢) ومما نقول وهو قول أئمتنا إن الفقير إذا احتاج وصبر ولم يتكلف إلى وقت يفتح الله له كان أعلى ، فمن عجز عن الصبر كان السؤال أولى به ، على قوله صلى الله عليه وسلم « لأن يأخذ أحدكم حبله » الحديث (٣) . ونقول إن ترك المكاسب غير جائز إلا بشرائط موسومة من التعفف والاستغناء عما في أيدي الناس . ومن جعل السؤال حرفة وهو صحيح فهو مذموم في الحقيقة خارج (٤) . ونقول : إن المستمع إلى الغناء والملاهي فإن ذلك كما قال عليه السلام « الغناء ينبت النفاق في القلب » وإن لم يكفر فهو فسق لا محالة . والذي نختاره قول أئمتنا إن ترك المراء في الدين والكلام في الإيمان مخلوق أو غير مخلوق ، ومن زعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم واسطة يؤدي ، وأن المرسل إليهم أفضل ، فهو كافر بالله . ومن قال بإسقاط الوسائط على الجملة فقد كفر . اهـ (٥) .

ومن متأخريهم الشيخ الإمام أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح (٦) قال في كتاب « الغنية » : أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد — إلى أن قال — : وهو بجهة العلو ، مستو على العرش ، محتو على الملك ، محيط علمه بالأشياء ؟ ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ : [فاطر ٩] ﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ﴾ : [السجدة ٤] ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان ، بل

---

(١) المعروف بالحافي أحد رجال الطريقة المتوفى سنة ٢٢٦ هـ .

(٢) أي ابن خفيف (٣) تمامه : « فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه ، خير له من أن يسأل الناس ، أعطوه أو منعوه » رواه البخاري في باب كسب الرجل وعمله بيده من كتاب البيوع في صحيحه . (٤) أي عن طريقة الصالحين (٥) أي انتهى كلام ابن خفيف .

(٦) الجيلاني . قال عنه الذهبي في العلو : شيخ الإسلام سيد الوعاظ . توفي سنة ٥٦١ هـ .

يقال : إنه فى السماء على العرش ، كما قال [طه ٥] : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ » وذكر آيات وأحاديث ، إلى أن قال « وينبغى إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل ، وأنه استواء الذات على العرش ، قال : وكونه على العرش مذكور فى كل كتاب أنزله على كل نبى أرسله بلا كيف » . وذكر كلاماً طويلا لا يحتمله هذا الموضع ، وذكر فى سائر الصفات نحو هذا . ولو ذكرت ما قاله العلماء فى ذلك لطال الكتاب جداً .

قال أبو عمر بن عبد البر : « روينا عن مالك بن أنس وسفيان الثورى وسفيان ابن عيينة والأوزاعى ومعمر بن راشد فى أحاديث الصفات أنهم كلهم قالوا : أمروها كما جاءت ، قال أبو عمر : ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم من نقل الثقات أو جاء عن أصحابه رضى الله عنهم فهو علم يدان به ، وما أحدث بعدهم ولم يكن له أصل فيما جاء عنهم فهو بدعة وضلالة » ، وقال فى « شرح الموطأ » لما تكلم على شرح حديث النزول قال « هذا حديث ثابت من جهة النقل صحيح الإسناد ، ولا يختلف أهل الحديث فى صحته ، وهو منقول من طرق سوى هذه من أخبار العدول عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وفيه دليل على أن الله فى السماء ، على العرش استوى ، من فوق سبع سماوات كما قالت الجماعة ، وهو من حجتهم على المعتزلة فى قولهم : إن الله تعالى فى كل مكان بذاته المقدسة . قال : والدليل على صحة ما قال أهل الحق قول الله — وذكر بعض الآيات — إلى أن قال : وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته ، لأنه اضطرار ، لم يوقفهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم . قال أبو عمر ابن عبد البر أيضاً « أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا فى تأويل قوله [المجادلة ١٤] : ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ : هو على العرش ، وعلمه فى كل مكان » وما خالفهم فى ذلك من يحتج بقوله . وقال أبو عمر أيضاً « أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها فى القرآن والسنة ، والإيمان بها ، وحملها على الحقيقة لا على المجاز ، إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ، ولا يحدون فيه صفة محصورة . وأما أهل البدع — الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج — فكلهم ينكرها ، ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة ، ويزعم أن من أقر بها مشبه ، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود . والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم أئمة الجماعة » . فهذا كلام ابن عبد البر إمام أهل المغرب .

وفى عصره الحافظ أبو بكر البيهقى ، مع توليه المتكلمين من أصحاب أبى الحسن

الأشعرى (١) وذبه عنهم ، قال فى كتاب « الأسماء والصفات » : « باب ما جاء فى إثبات اليدين صفتين لا من حيث الجارحة ، لورود خبر الصادق به ، قال تعالى [ص ٧٥] : ﴿ يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ﴾ ؟ وقال [المائدة : ٦٤] ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾ ، وذكر الأحاديث الصحاح فى هذا الباب مثل قوله فى حديث الشفاعة « يا آدم أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده » ومثل قوله فى الحديث المتفق عليه « أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك الألواح بيده » وفى لفظ « وكتب لك التوراة بيده » ، ومثل ما فى صحيح مسلم « وغرس كرامة أوليائه فى جنة عدن بيده » ، ومثل قوله صلى الله عليه وسلم « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته فى سفرته ، نزلا لأهل الجنة (٢) » . وذكر أحاديث مثل قوله « بيدى الأمر » ، و « الخير فى يديك » ، « والذى نفس محمد بيده » و « إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل » ، وقوله « المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين » ، وقوله « يطوى الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوى الأرضين بشماله ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ » ، وقوله « يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض ؟ فإنه لم يغض ما فى يمينه ، وعرشه على الماء . وبيده الأخرى القسط يخفض ويرفع » وكل هذه الأحاديث فى الصحاح . وذكر أيضاً قوله « إن الله لما خلق آدم قال له ويداه مقبوضتان : اختر أيهما شئت . قال : اخترت يمين ربى ، وكلتا يدى ربى يمين مباركة » ، وحديث « إن الله لما خلق آدم مسح على ظهره » إلى أحاديث أخرى ذكرها من هذا النوع . ثم قال البيهقى « أما المتقدمون من هذه الأمة فإنهم لم يفسروا ما كتبنا من الآيات والأخبار فى هذا الباب » . وكذلك قال فى الاستواء على العرش وسائر الصفات الخبرية ، مع أنه يحكى قول بعض المتأخرين .

---

(١) أبو الحسن الأشعرى كان فى أول نشأته معتزلياً ، ثم انتبه إلى فساد مذهب المعتزلة لكنه طفق يجادلهم — وهو فى البصرة — بأساليبهم ومقاييسهم ، فلما انتقل إلى بغداد أراد الله له الخاتمة بالحسنى ، فانتقل إلى مذهب السلف محضاً خالصاً ، وألف فى ذلك آخر كتبه : الإبانة ، ومقالات الإسلاميين ، وفيهما قرر عقيدته التى لقى الله عليها . وسيأتى نقل شيخ الإسلام ابن تيمية بعض كلام الأشعرى فى مقالات الإسلاميين والإبانة .

(٢) رواه البخارى فى باب يقبض الله الأرض من كتاب الرقاق من صحيحه .

وقال القاضى أبو يعلى (١) فى كتاب « إبطال التأويل » : « لا يجوز رد هذه الأخبار ، ولا التشاغل بتأويلها ، والواجب حملها على ظاهرها وأنها صفات الله لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من سائر الخلق ، ولا يعتقد التشبيه فيها ، لكن على ما روى عن الإمام أحمد وسائر الأئمة — وذكر بعض كلام الزهرى ومكحول ومالك والثورى والأوزاعى والليث وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن عيينة والفضيل ابن عياض ووكيع وعبد الرحمن بن مهدى وأسود بن سالم وإسحاق بن راهويه وأبى عبيد ومحمد بن جرير الطبرى وغيرهم فى هذا الباب ، وفى حكاية ألفاظهم طول — إلى أن قال « ويدل على إبطال التأويل أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها ، ولم يتعرضوا لتأويلها ، ولا صرفوها عن ظاهرها — فلو كان التأويل سائغاً لكانوا أسبق إليه لما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة » .

وقال أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعرى المتكلم (٢) صاحب الطريقة المنسوبة إليه فى الكلام فى كتابه الذى صنفه فى « اختلاف المصلين ، ومقالات الإسلاميين » وذكر فرق الروافض والخوارج والمرجئة والمعتزلة وغيرهم ثم قال : « مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث جملة : قول أصحاب الحديث وأهل السنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء عن الله تعالى وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يردون شيئاً من ذلك ، وأن الله واحد أحد فرد صمد لا إله غيره ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق والنار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور ، وأن الله على عرشه كما قال [طه ٥] : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ وأن له يدين بلا كيف كما قال [ص : ٧٥] ﴿ خلقت بيدى ﴾ وكما قال [المائدة : ٦٤] ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾ وأن له عينين بلا كيف كما قال [القمر : ١٤] ﴿ تجرى بأعيننا ﴾ وأن له وجهاً كما قال [الرحمن : ٢٧] ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ وأن أسماء الله تعالى لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج وقرروا أن لله علماً كما قال [النساء : ١٦٥] ﴿ أنزله بعلمه ﴾ وكما قال [فاطر : ١١] ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾ وأثبتوا السمع والبصر

---

(١) عالم العراق أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادى الحنبلى ، كان آية فى معرفة مذهب الإمام أحمد ، صنف التصانيف الفائقة . توفى سنة ٤٥٨

(٢) انظر التعليق رقم (١) فى الصفحة السابقة .

ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة ، وأثبتوا لله القوة كما قال [فصلت : ١٥] ﴿ أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة ﴾ وذكر مذهبهم فى القدر إلى أن قال « ويقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق ، والكلام فى اللفظ والوقف : من قال باللفظ وبالوقف فهو مبتدع عندهم ، لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق . ويقرون أن الله يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر ، يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون ، لأنهم عن الله محجوبون ، قال عز وجل [المطففين : ١٥] ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ . وذكر قولهم فى الإسلام والإيمان والحوض والشفاعة وأشياء ، إلى أن قال « ويقرون بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، ولا يقولون مخلوق . ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار » إلى أن قال ، « وينكرون الجدل والمراء فى الدين ، والخصومة والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم ويسلمون الروايات الصحيحة ولما جاءت به الآثار الصحيحة التى جاء بها الثقات عدل عن عدل حتى ينتهى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يقولون « كيف » ولا « لم » ؟ لأن ذلك بدعة » إلى أن قال « ويقرون أن الله يجىء يوم القيامة » كما قال تعالى [الفجر : ٢٢] ﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفا ﴾ ، وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء كما قال [ق : ١٦] ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ إلى أن قال « ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة ، والتشاغل (١) بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر فى الفقه مع الاستكانة والتواضع وحسن الخلق مع بذل المعروف وكف الأذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المآكل والمشارب » قال « فهذه جملة ما يأمرون به ويستسلمون إليه ويرونه ، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب ، وما توفيقنا إلا بالله وهو المستعان .

وقال الأشعرى أيضاً فى اختلاف أهل القبلة فى العرش فقال « قال أهل السنة وأصحاب الحديث : ليس بجسم ولا يشبه الأشياء ، وأنه استوى على العرش كما قال [طه : ٥] ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ولا نتقدم بين يدى الله فى القول ، بل نقول استوى بلا كيف . وأن له وجهاً كما قال [الرحمن : ٢٧] ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ وأن له يدين كما قال [ص : ٧٥] ﴿ خلقت بيدى ﴾ ، وأن له عينين كما قال [القمر : ١٤] ﴿ تجرى بأعيننا ﴾ وأنه يجىء يوم القيامة هو وملائكته

---

(١) أى ويرون التشاغل .

كما ينزل إلى سماء الدنيا كما جاء فى الحديث ، ولم يقولوا شيئاً إلا ما وجدوه فى الكتاب أو جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالت المعتزلة : إن الله استوى على العرش بمعنى استولى . وذكر مقالات أخرى .

وقال أبو الحسن الأشعرى فى كتابه الذى سماه « الإبانة فى أصول الديانة » وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنفه ، وعليه يعتمدون فى الذب عنه عند من يطعن عليه ، فقال : « فصل فى إبانة قول أهل الحق والسنة : فإن قال قائل أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذى به تقولون ، وديانتكم التى بها تدينون . قيل له : قولنا الذى نقول به وديانتنا التى ندين بها التمسك بكلام ربنا وسنة نبينا وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن حنبل — نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته — قائلون ، ولما خالف قوله مخالفون ، لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل ، الذى أبان الله به الحق ورفع به الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين ، فرحمة الله عليه من إمام مقدم ، وجليل معظم ، وكبير مفهم .

« وجملة قولنا أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وبما جاءوا به من عند الله ، وبما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا نرد من ذلك شيئاً . وأن الله واحد لا إله إلا هو ، فرد صمد ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً . وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . وأن الجنة حق ، والنار حق ، وأن الساعة آتية ، وأن الله يبعث من فى القبور . وأن الله مستو على عرشه كما قال [طه : ٥] ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ وأن له وجهاً كما قال [الرحمن : ٢٧] ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ وأن له يدين بلا كيف كما قال [ص : ٧٥] ﴿ لما خلقت بيدى ﴾ وكما قال [المائدة : ٦٤] ﴿ بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾ وأن له عينين بلا كيف كما قال [القمر : ١٤] ﴿ تجرى بأعيننا ﴾ . وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالا » وذكر نحواً مما ذكر فى الفرق إلى أن قال « ونقول إن الإسلام أوسع من الإيمان ، وليس كل إسلام إيماناً . وندين بأن الله يقلب القلوب بين إصبعين من أصابع الله عز وجل ، وأنه عز وجل يضع السماوات على إصبع كما جاءت الرواية الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » إلى أن قال « وأن الإيمان قول وعمل ،

يزيد وينقص . ونسلم بالروايات الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التى رواها الثقات عدلا عن عدل حتى ينتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » إلى أن قال « ونصدق بجميع الروايات التى أثبتها أهل النقل من النزول إلى سماء الدنيا وأن الرب عز وجل يقول : هل من سائل ؟ هل من مستغفر ؟ وسائر ما نقلوه وأثبتوه ، خلافاً لما قال أهل الزيغ والتضليل . ونعود فيما اختلفنا فيه إلى كتاب ربنا ، وسنة نبينا ، وإجماع المسلمين وما كان فى معناه ، ولا نبتدع فى دين الله ما لم يأذن لنا به ، ولا نقول على الله ما لا نعلم ، ونقول : إن الله يجىء يوم القيامة كما قال [الفجر : ٢٢] ﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفا ﴾ ، وإن الله يقرب من عباده كيف شاء كما قال [ق : ١٦] ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ وكما قال [النجم : ٩] ﴿ ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ . إلى أن قال (١) وسنحتج لما ذكرناه من قولنا وما بقى مما لم نذكره باباً باباً :

ثم تكلم على أن الله يرى واستدل على ذلك ، ثم تكلم على أن القرآن غير مخلوق واستدل على من وقف فى القرآن وقال لا أقول إنه مخلوق ولا غير مخلوق ، ورد عليه

ثم قال (١) : (باب ذكر الاستواء على العرش) فقال « إن قال قائل : ما تقولون فى الاستواء ؟ قيل له : نقول إن الله مستو على عرشه كما قال [طه : ٥] ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ وقال تعالى [فاطر : ١٠] ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ وقال تعالى [النساء : ١٥٨] ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾ وقال تعالى [السجدة : ٥] ﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه ﴾ وقال تعالى حكاية عن فرعون [غافر : ٣٦] ﴿ يا هامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب ، أسباب السماوات ، فأطلع إلى إله موسى ، وإنى لأظنه كاذباً ﴾ كذب موسى فى قوله إن الله فوق السماوات ، وقال تعالى [الملك : ١٦] ﴿ ءأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض ﴾ فالسماوات فوقها العرش ، فلما كان العرش فوق السماوات قال ﴿ ءأمنتم من فى السماء ﴾ لأنه مستو على العرش الذى هو فوق السماوات ، وكل ما علا فهو سماء ، فالعرش أعلى السماوات وليس إذا قال ﴿ ءأمنتم من فى السماء ﴾ يعنى جميع السماء ، وإنما أراد العرش الذى هو أعلى السماوات ، ألا ترى أن الله عز وجل ذكر السماوات فقال [نوح : ١٦] ﴿ وجعل القمر فيهن نوراً ﴾ فلم يرد أن القمر يملؤهن وأنه فيهن جميعاً . ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء ، لأن الله على العرش الذى هو فوق السماوات ،

---

(١) أى الأشعرى .

فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض

ثم قال (١) : (**فصل**) وقد قال القائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية إن معنى قوله [طه ٥] : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ أنه استولى وقهر وملك ، وإن الله عز وجل فى كل مكان ، وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق ، وذهبوا فى الاستواء إلى القدرة ، فلو كان كما ذكروه لا فرق بين العرش والأرض السابعة لأن الله قادر على كل شيء ، والأرض فالله قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما فى العالم ، فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء وهو عز وجل مستول على الأشياء كلها ، لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار ، لأنه قادر على الأشياء مستول عليها ، وإذا كان قادراً على الأشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول : إن الله مستو على الحشوش والأخلية ، لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذى هو عام فى الأشياء كلها ، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون الأشياء كلها . وذكر دلالات من القرآن والحديث والإجماع والعقل .

ثم قال : (١) : (باب الكلام فى الوجه والعينين والبصر واليدين) وذكر الآيات على ذلك ، ورد على المتأولين لها بكلام طويل لا يتسع هذا الموضع لحكايته ، مثل قوله « فإن سئلنا : أتقولون لله يدان ؟ قيل : نقول ذلك ، وقد دل عليه قوله تعالى [الفتح ١٠] : ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ وقوله تعالى [ص ٧٥] : ﴿لما خلقت بيدى﴾ ، وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله مسح ظهر آدم بيده » ، و « خلق جنة عدن بيده » ، و « كتب التوراة بيده » وقد جاء فى الخبر المذكور عن النبى صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم بيده » و « خلق جنة عدن بيده » ، و « كتب التوراة بيده » و « غرس شجرة طوبى بيده » وليس يجوز فى لسان العرب ولا فى عادة أهل الخطاب أن يقول القائل عملت كذا بيدى ، ويريد بها النعمة . وإذا كان الله إنما خاطب العرب بلغتها ، وما يجرى مفهوماً فى كلامها ومعقولا فى خطابها ، وكان لا يجوز فى خطاب أهل اللسان أن يقول القائل : فعلت بيدى ويعنى بها النعمة ، بطل أن يكون معنى قوله تعالى (بيدى) النعمة . وذكر كلاماً طويلا فى تقرير هذا ونحوه .

وقال القاضى أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى المتكلم ، وهو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعرى ، ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده ، قال فى كتاب « الإبانة »

---

(١) يعنى الأشعرى .

تصنيفه : « فإن قال : فما الدليل على أن لله وجهاً ويداً ؟ قيل له : قوله [الرحمن ٢٧] : ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ وقوله تعالى [ص ٧٥] : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ﴾ فأثبت لنفسه وجهاً ويداً . فإن قال : فلم أنكرتم أن تكون وجهه ويده جارحة ، إن كنتم لا تعقلون وجهاً ويداً إلا جارحة ؟ قلنا : لا يجب هذا كما لا يجب إذا لم نعقل حياً عالماً قادراً إلا جسما أن نقضى نحن وأنتم بذلك على الله سبحانه وتعالى، وكما لا يجب فى كل شىء ، كان قائماً بذاته أن يكون جوهراً ، لأنا وإياكم لانجد قائماً بنفسه فى شاهدنا إلا كذلك ، وكذلك الجواب لهم إن قالوا : فيجب أن يكون علمه وحياته وسمعه وبصره وسائر صفاته عرضاً ، واعتلوا بالوجود .

وقال (١) « فإن قال : فهل تقولون إنه فى كل مكان ؟ قيل له : معاذ الله ، بل مستو على عرشه كما أخبر فى كتابه فقال ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ وقال الله تعالى [فاطر ١٠] : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ وقال [الملك ١٦] : ﴿ ءأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور ﴾ قال : ولو كان فى كل مكان لكان فى بطن الإنسان وفمه والحشوش والمواضع التى يرغب عن ذكرها ، ولوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة إذا خلق منها ما لم يكن ، وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان ، ولصح أن يرغب إليه إلى نحو الأرض وإلى خلفنا وإلى يميننا وإلى شمالنا ، وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه ، وتخطئة قائله » .

وقال (١) أيضاً فى هذا الكتاب « صفات ذاته التى لم يزل ولا يزال موصوفاً بها وهى الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والإرادة ، والبقاء ، والوجه ، والعينان ، واليدان ، والغضب ، والرضا » .

وقال فى كتاب التمهيد (٢) كلاماً أكثر من هذا وكلامه وكلام غيره من المتكلمين فى مثل هذا الباب كثير لمن يطلبه ، وإن كنا مستغنين بالكتاب والسنة وآثار السلف عن كل كلام . وملاك الأمر أن يهب الله للعبد حكمة وإيماناً بحيث يكون له عقل ودين حتى يفهم ويدين ، ثم نور الكتاب والسنة يغنيه عن كل شىء ، ولكن كثيراً من الناس قد صار منتسباً إلى بعض طوائف المتكلمين ، ومحسناً للظن بهم دون غيرهم ، ومتوهماً أنهم حققوا فى هذا الباب ما لم يحققه غيرهم ، فلوأتى بكل آية ما تبعها حتى يؤتى بشىء

---

(١) أى القاضى أبو بكر الباقلانى .

(٢) الذى ألفه لابن مالك عضد الدولة فناخسرو

من كلامهم ، ثم هم مع هذا مخالفون لأسلافهم غير متبعين لهم ، فلو أنهم أخذوا بالهدى الذى يجدونه فى كلام أسلافهم لرجى لهم — مع الصدق فى طلب الحق — أن يزدادوا هدى ، ومن كان لا يقبل الحق إلا من طائفة معينة ثم لا يتمسك بما جاءت به من الحق ففيه شبه من اليهود الذين قال الله فيهم [البقرة : ١٩] ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ، ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم . قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ﴾ فإن اليهود قالوا : لا نؤمن إلا بما أنزل علينا ، قال الله تعالى لهم ﴿ فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ﴾ ؟ أى إن كنتم مؤمنين بما أنزل عليكم ، يقول سبحانه وتعالى : لا لما جاءتكم به أنبياؤكم تتبعون ، ولا لما جاءتكم به سائر الأنبياء تتبعون ، ولكن إنما تتبعون أهواءكم . فهذا حال من لم يتبع الحق لا من طائفته ولا من غيرها ، مع كونه يتعصب لطائفته بلا برهان من الله ولا بيان .

وكذلك قال أبو المعالى الجوينى (١) فى كتابه « الرسالة النظامية (٢) » : « اختلفت مسالك العلماء فى هذه الظواهر ، فرأى بعضهم تأويلها والتزام ذلك فى آى الكتاب وما يصح من السنن ، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل ، وإجراء الظواهر على مواردها ، وتفويض معانيها إلى الرب » فقال « والذى نرتضيه رأياً وندين الله به عقداً (٣) اتباع سلف الأمة ؛ والدليل السمعى القاطع فى ذلك إجماع الأمة ، وهو حجة متبعة ، وهو مستند معظم الشريعة ، وقد درج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها — وهم صفوة الإسلام والمستقلون بأعباء الشريعة ، وكانوا لا يألون جهداً فى ضبط قواعد الملة، والتواصى بحفظها ، وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها — فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغاً أو محتوماً لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة ، وإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع ، فحق على ذى الدين أن يعتقد تنزيه البارى عن صفات المحدثين ، ولا يخوض فى تأويل المشكلات ، ويكل معناها إلى الرب تعالى . فليجر آية الاستواء أو المجىء وقوله ﴿ لما خلقت بيدى ﴾ وقوله ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ وقوله ﴿ تجرى بأعيننا ﴾ وما صح من أخبار الرسول كخبر النزول وغيره على ما ذكرنا . اهـ .

---

(١) عبد الملك بن عبد الله أبو المعالى الجوينى إمام الحرمين . توفى سنة ٤٧٨ هـ .

(٢) وهى من آخر مؤلفاته . (٣) أى اعتقاداً .

قلت : وليعلم السائل أن الغرض من هذا الجواب ذكر ألفاظ بعض أئمة العلماء الذين نقلوا مذهب السلف فى هذا الباب ، وليس كل من ذكرنا شيئاً من قوله من المتكلمين وغيرهم يقول بجميع ما نقوله فى هذا وغيره ، ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به [١] ، وكان معاذ بن جبل يقول فى كلامه المشهور عنه الذى رواه أبو داود فى سننه : « اقبلوا الحق من كل من جاء به وإن كان كافراً — أو قال فاجراً — واحذروا زيغة الحكيم ، قالوا : كيف نعلم أن الكافر يقول كلمة الحق ؟ قال : إن على الحق نوراً » أو كلاماً هذا معناه .

فأما تقرير ذلك بالدليل ، وإماطة ما يعرض من الشبهة ، وتحقيق الأمر على وجه يخلص إلى القلب ما يبرد به من اليقين ، ويقف على مواقف آراء العباد فى هذه المهامه ، فما تتسع له هذه الفتوى ، وقد كتبت شيئاً من ذلك قبل هذا وخاطبت ببعض ذلك بعض من يجالسنا ، وربما أكتب إن شاء الله فى ذلك ما يحصل به المقصود .

وجماع الأمر فى ذلك أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه وقصد اتباع الحق وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه والإلحاد فى أسماء الله وآياته ، ولا يحسب الحاسب أن شيئاً من ذلك يناقض بعضه بعضاً البتة ، مثل أن يقول القائل ما فى الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه فى الظاهر قوله [الحديد ٤] : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ ، وقوله صلى الله عليه وسلم « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه » ونحو ذلك ، فإن هذا غلط ، وذلك أن الله معنا حقيقة ، وهو فوق العرش حقيقة ، كما جمع الله بينهما فى قوله سبحانه وتعالى [الحديد ٤] : ﴿ هو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ، يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شىء ، وهو معنا أينما كنا ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فى حديث الأوعال « والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه [٢] » ، وذلك أن كلمة « مع » فى اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها فى اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال ، فإذا قيدت بمعنى من المعانى دلت على المقارنة فى ذلك المعنى ، فإنه يقال : مازلنا نسير والقمر معنا ،

---

(١) لأن الإسلام « دين الحق » كما فى سورة التوبة ٣٣ ، وفى سورة الفتح ٢٨ ، وفى سورة الصف ٩

(٢) رواه الترمذى وحسنه كما فى العلو للذهبى ص ١٧

أو والنجم معنا ، أو يقال : هذا المتاع معى ، لمجامعته لك وإن كان فوق رأسك ، فالله مع خلقه حقيقة ، وهو فوق عرشه حقيقة . ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب المراد ، فلما قال [الحديد ٤] : ﴿ يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها — إلى قوله — وهو معكم أينما كنتم ﴾ دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم شهيد عليكم مهيمن عالم بكم ، وهذا معنى قول السلف أنه معهم بعلمه ، وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته . وكذلك فى قوله [المجادلة ٧] : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم — إلى قوله — إلا هو معهم أينما كانوا ﴾ الآية ، ولما قال النبى صلى الله عليه وسلم لصاحبه فى الغار [التوبة ٤٠] : ﴿ لا تحزن إن الله معنا ﴾ كان هذا أيضاً حقاً على ظاهره ، ودلت الحال على أن حكم هذه المعية هنا معية الاطلاع والنصر والتأييد ، وكذلك قوله تعالى [النحل ١٢٨] : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ ، وكذلك قوله لموسى وهارون [طه ٤٦] : ﴿ إننى معكما أسمع وأرى ﴾ هنا المعية على ظاهرها ، وحكمها فى هذه المواطن النصر والتأييد . وقد يدخل على صبى من يخيفه فيبكى ويشرف عليه أبوه من فوق السقف فيقول : لا تخف أنا معك ، أو أنا هنا ، أو أنا حاضر ، ونحو ذلك ينبهه على المعية الموجبة بحكم الحال دفع المكروه ، ففرق بين معنى المعية وبين مقتضاها ، وربما صار مقتضاها من معناها فيختلف باختلاف المواضع. فلفظ المعية قد استعمل فى الكتاب والسنة فى مواضع يقتضى فى كل موضع أموراً لا يقتضيها فى الموضع الآخر ، فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع ، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها ، وإن امتاز كل موضع بخاصية ، فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها ونظيرها — من بعض الوجوه — الربوبية والعبودية فإنها — وإن اشتركت فى أصل الربوبية والتعبيد — لها معان بحسب المواضع : فلما قال [الأعراف ١٢٢] : ﴿ رب العالمين رب موسى وهارون ﴾ كانت ربوبية موسى وهارون لها اختصاص زائد على الربوبية العامة للخلق ، فإن من أعطاه الله من الكمال أكثر مما أعطى غيره فقد ربه ورباه ربوبية وتربية أكمل من غيره ، وكذلك قوله [الإنسان ٦] : ﴿ عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً ﴾ و [أول الإسراء] : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا ﴾ ، فإن العبد تارة يعنى به المعبد فيعم الخلق كما فى قوله [مريم ٩٣] : ﴿ إن كل من فى السماوات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً ﴾ ، وتارة يعنى العابد فيخص ، ثم يختلفون

فمن كان أعبد علماً وحالا كانت عبوديته أكمل . فكانت الإضافة فى حقه أكمل ، مع أنها حقيقة فى جميع المواضع

ومثل هذه الألفاظ يسميها بعض الناس « مشككة » لتشكك المستمع فيها : هل هى من قبيل الأسماء المتواطئة ، أو من قبيل المشتركة فى اللفظ فقط . والمحققون يعلمون أنها ليست خارجة عن جنس المتواطئة ، إذ واضع اللغة إنما وضع اللفظ بإزاء القدر المشترك ، وإن كانت نوعاً مختصاً من المتواطئة فلا بأس بتخصيصها بلفظ .

ومن علم أن المعية تضاف إلى كل نوع من أنواع المخلوقات كإضافة الربوبية مثلا ، وأن الاستواء على الشيء ليس إلا للعرش ، وأن الله يوصف بالعلو والفوقية الحقيقية ولا يوصف بالسفول ولا بالتحتية قط لا حقيقة ولا مجازاً ، علم القرآن على ما هو عليه من غير تحريف .

ثم من توهم أن كون الله فى السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب إن نقله عن غيره ، وضال إن اعتقده فى ربه ، وما سمعنا أحداً يفهمه من اللفظ ، ولا رأينا أحداً نقله عن واحد . ولو سئل سائر المسلمين : هل يفهمون من قول الله ورسوله أن الله فى السماء ؛ أن السماء تحويه لبادر كل أحد منهم إلى أن يقول : هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا ، وإذا كان الأمر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئاً محالا لا يفهمه الناس منه ، ثم يريد أن يتأوله ، بل عند المسلمين أن الله فى السماء ، وهو على العرش ، واحد . إذ السماء إنما يراد به العلو ، فالمعنى أن الله فى العلو لا فى السفل ، وقد علم المسلمون أن كرسيه سبحانه وتعالى وسع السماوات والأرض ، وأن الكرسى فى العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وأن العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته ، فكيف يتوهم بعد هذا أن خلقاً يحصره ويحويه ؟ وقد قال سبحانه [طه ٧١] : ﴿ ولأصلبنكم فى جذوع النخل ﴾ وقال [آل عمران ١٣٧] : ﴿ فسيروا فى الأرض ﴾ بمعنى « على » ونحو ذلك ، وهو كلام عربى حقيقة لا مجازاً ، وهذا يعلمه من عرف حقائق معانى الحروف وأنها متواطئة فى الغالب لا مشتركة ، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه ، فلا يبصقن قبل وجهه [1] » الحديث حق على ظاهره ، وهو سبحانه فوق العرش ، وهو قبل وجه المصلى ، بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات ؛ فإن الإنسان لو أنه يناجى السماء أو يناجى الشمس والقمر لكانت

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه من حديث أنس .

السماء والشمس والقمر فوقه وكانت أيضاً قبل وجهه ، وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل بذلك ولله المثل الأعلى ، ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا وإمكانه ، لا تشبيه الخالق بالمخلوق ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ما منكم من أحد إلا سيرى ربه مخلياً به » فقال له أبو زين العقيلي : كيف يا رسول الله وهو واحد ونحن جميع ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «سأنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله ، هذا القمر كلكم يراه مخلياً به ، وهو آية من آيات الله ، فالله أكبر » (١) أو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم . وقال « إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر » فشبه الرؤية بالرؤية وإن لم يكن المرئى مشابهاً للمرئى ، فالمؤمنون إذا رأوا ربهم يوم القيامة وناجوه كل يراه فوقه قبل وجهه كما يرى الشمس والقمر ، ولا منافاة أصلا .

ومن كان له نصيب من المعرفة بالله ، والرسوخ فى العلم بالله ، يكون إقراره للكتاب والسنة على ما هما عليه أوكد .

واعلم أن من المتأخرين من يقول : مذهب السلف إقرارها على ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد ، وهذا اللفظ مجمل فإن قوله « ظاهرها غير مراد » يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين ، مثل أن يراد بكون الله قبل وجه المصلى أنه مستقر فى الحائط الذى يصلى إليه ، وأن الله معنا ظاهر أنه إلى جانبنا ونحو ذلك ، فلا شك أن هذا غير مراد . ومن قال إن مذهب السلف أن هذا غير مراد فقد أصاب فى المعنى ، لكن الخطأ بإطلاق القول بأن هذا ظاهر الآيات والأحاديث . فإن هذا المحال ليس هو الظاهر على ما قد بيناه فى غير هذا الموضع ، اللهم إلا أن يكون هذا المعنى الممتنع صار يظهر لبعض الناس ، فيكون القائل لذلك مصيباً بهذا الاعتبار ، معذوراً فى هذا الإطلاق ، فإن الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس ، وهو من الأمور النسبية . وكان أحسن من هذا أن يبين — لمن اعتقد أن هذا هو الظاهر — أن هذا ليس هو الظاهر ، حتى يكون قد أعطى كلام الله وكلام رسوله حقه لفظاً ومعنى . وإن كان الناقل عن السلف أراد بقوله « الظاهر غير مراد عندهم » أن المعانى التى تظهر من هذه الآيات والأحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته ولا تختص بصفة المخلوقين ، بل هى واجبة لله أو جائزة عليه جوازاً ذهنياً أو جوازاً خارجياً غير مراد . فهذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف ، أو تعمد الكذب ،

---

(١) فى باب الرؤية من كتاب شرح السنة فى سنن أبى داود من حديث أبى رزين .

فما يمكن أحداً قط أن ينقل عن واحد من السلف ما يدل — لا نصاً ولا ظاهراً — أنهم كانوا يعتقدون أن الله ليس فوق العرش ، ولا أن الله ليس له سمع وبصر ويد حقيقة . وقد رأيت هذا المعنى ينتحله بعض من يحكيه عن السلف ويقولون : إن طريقة أهل التأويل هي في الحقيقة طريقة السلف ، بمعنى أن الفريقين اتفقوا على أن هذه الآيات والأحاديث لم تدل على صفات الله سبحانه وتعالى ، ولكن السلف سكتوا عن تأويلها ، والمتأخرون رأوا المصلحة في تأويلها لمسيس الحاجة إلى ذلك ، ويقولون : الفرق أن هؤلاء يعينون المراد بالتأويل ، وأولئك لا يعينون لجواز أن يراد غيره ، وهذا القول على الإطلاق كذب صريح على السلف ، أما في كثير من الصفات فقطعاً ، مثل أن الله تعالى فوق العرش ، فإن من تأمل كلام السلف المنقول عنهم الذي لم يحك هنا عشره علم بالاضطرار أن القوم كانوا مصرحين بأن الله فوق العرش حقيقة ، وأنهم ما اعتقدوا خلاف هذا قط ، وكثير منهم قد صرح في كثير من الصفات بمثل ذلك .

والله يعلم أني بعد البحث التام ومطالعة ما أمكن من كلام السلف ما رأيت كلام أحد منهم يدل — لا نصاً ولا ظاهراً ولا بالقرائن — على نفي الصفات الخبرية في نفس الأمر ، بل الذي رأيته أن كثيراً من كلامهم يدل — إما نصاً وإما ظاهراً — على تقرير جنس هذه الصفات ، ولا أنقل عن كل واحد منهم إثبات كل صفة ، بل الذي رأيته أنهم يثبتون جنسها في الجملة ، وما رأيت أحداً منهم نفاها ، وإنما ينفون التشبيه وينكرون على المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه ، مع إنكارهم على من ينفي الصفات أيضاً ، كقول نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري : من شبه الله بخلقه فقد كفر ، من جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهاً .

وكانوا إذا رأوا الرجل قد أغرق في نفي التشبيه من غير إثبات الصفات قالوا : هذا جهمي معطل . وهذا كثير جداً في كلامهم ، فإن الجهمية والمعتزلة إلى اليوم يسمون من أثبت شيئاً من الصفات مشبهاً ، كذباً منهم وافتراء ، حتى إن منهم من غلا ورمى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بذلك ، حتى قال ثمامة بن الأشرس (١) من رؤساء الجهمية : ثلاثة من الأنبياء مشبهة : موسى حيث قال [الأعراف : ١٥٥]

---

(١) من كبار المعتزلة ومن رؤوس الضلالة . كان له اتصال بالرشيد ثم المأمون . قال ابن قتيبة : كان ثمامة من رقة الدين وتنقص الإسلام والاستهزاء به وإرسال لسانه على ما لا يكون على مثله رجل يعرف الله ويؤمن به . ذكر ذلك في « لسان الميزان » وحقق أن وفاته كانت سنة ٢١٣

﴿ إن هى إلا فتنتك ﴾ ، وعيسى حيث قال [المائدة ١١٦] : ﴿ تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ﴾ ومحمد حيث قال « ينزل ربنا » ، وحتى إن جُلَّ المعتزلة تُدخل عامة الأئمة — مثل مالك وأصحابه والثورى وأصحابه والأوزاعى وأصحابه والشافعى وأصحابه وأحمد وأصحابه وإسحاق بن راهويه وأبى عبيد وغيرهم — فى قسم المشبهة .

وقد صنف أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن درباس الشافعى جزءاً سماه « تنزيه أئمة الشريعة ، عن الألقاب الشنيعة » ذكر فيه كلام السلف وغيرهم فى معانى هذا الباب ، وذكر أن أهل البدع كل صنف منهم يلقب أهل السنة بلقب افتراه ، بزعم أنه صحيح على رأيه الفاسد ، كما أن المشركين كانوا يلقبون النبى صلى الله عليه وسلم بألقاب افتروها : فالروافض تسميهم نواصب ، والقدرية يسمونهم مجبرة ، والمرجئة تسميهم شكاكا ، والجهمية تسميهم مشبهة ، وأهل الكلام يسمونهم حشوية ونوابت وغثاء وغثرا ، إلى أمثال ذلك . كما كانت قريش تسمى النبى صلى الله عليه وسلم تارة مجنوناً وتارة شاعراً وتارة كاهناً وتارة مفترياً . قالوا : فهذا علامة الإرث الصحيح والمتابعة التامة ، قالوا : فإن السنة هى ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه اعتقاداً واقتصاداً وقولا وعملا ، فكما أن المنحرفين عنه يسمونهم بأسماء مذمومة مكذوبة وإن اعتقدوا صدقها بناء على عقيدتهم الفاسدة ، فكذلك التابعون له على بصيرة الذين هم أولى الناس به فى المحيا والممات باطناً وظاهراً . وأما الذين وافقوه ببواطنهم وعجزوا عن إقامة الظواهر ، والذين وافقوه بظواهرهم وعجزوا عن تحقيق البواطن ، أو الذين وافقوه ظاهراً وباطناً بحسب الإمكان ، فلابد للمنحرفين عن سنته أن يعتقدوا فيهم نقصاً يذمونهم به ، ويسمونهم بأسماء مكذوبة وإن اعتقدوا صدقها ، كقول الروافض من لم يبغض أبا بكر رضى الله عنه وعمر فقد أبغض علياً ، لأنه لا ولاية لعلى إلا بالبراءة منهما ، ثم يجعل من أحب أبا بكر وعمر ناصبياً بناء عن هذه الملازمة الباطلة التى اعتقدها صحيحة أو عاند فيها وهو الغالب . وكقول القدرية : من اعتقد أن الله أراد الكائنات وخلق أفعال العباد فقد سلب من العباد الاختيار والقدرة وجعلهم مجبورين كالجمادات التى لا إرادة لها ولا قدرة .

وكقول الجهمى : من قال إن الله فوق العرش فقد زعم أنه محصور ، وأنه جسم مركب محدود ، وأنه مشابه لخلقه . وكقول الجهمية المعتزلة : من قال إن لله علماً وقدرة فقد زعم أنه جسم مركب وأنه مشبه ، لأن هذه الصفات أعراض ، والعرض لا يقوم إلا بجوهر متحيز ، وكل متحيز جسم مركب أو جوهر فرد ، ومن قال ذلك

فهو مشبه لأن الأجسام متماثلة . ومن حكى عن الناس المقالات وسماهم بهذه الأسماء المكذوبة بناء على عقيدتهم التى هم مخالفون لهم فيها فهو وربه ، والله من ورائه بالمرصاد ، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله .

وجماع الأمر أن الأقسام الممكنة فى آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام ، كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة : قسمان يقولون تجرى على ظواهرها ، وقسمان يقولون هى على خلاف ظاهرها ، وقسمان يسكتون .

أما الأولون فقسمان : أحدهما من يجريها على ظاهرها ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين ، فهؤلاء المشبهة ، ومذهبهم باطل أنكره السلف ، وإليه توجه الرد بالحق . الثانى من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله ، كما يجرى ظاهر اسم العليم والقدير والرب والإله والموجود والذات ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله ، فإن ظواهر هذه الصفات فى حق المخلوق إما جوهر محدث وإما عرض قائم به ، فالعلم والقدرة والكلام والمشيئة والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك فى حق العبد أعراض ، والوجه واليد والعين فى حقه أجسام ، فإذا كان الله موصوفاً عند عامة أهل الإثبات بأن له علماً وقدرة وكلاماً ومشيئة وإن لم يكن ذلك عرضاً يجوز عليه ما يجوز على صفات المخلوقين جاز أن يكون وجه الله ويداه صفات ليست أجساماً يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين ، وهذا هو المذهب الذى حكاه الخطابى وغيره عن السلف ، وعليه يدل كلام جمهورهم ، وكلام الباقين لا يخالفه ، وهو أمر واضح ، فإن الصفات كالذات ، فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات ، فصفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقات ، فمن قال : لا أعقل علماً ويداً إلا من جنس العلم واليد المعهودين ، قيل له : فكيف تعقل ذاتاً من غير جنس ذوات المخلوقين ؟ ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته ، فمن لم يفهم من صفات الرب — الذى ليس كمثله شيء — إلا ما يناسب المخلوق فقد ضل فى عقله ودينه .

وما أحسن ما قال بعضهم : إذا قال لك الجهمى كيف استوى ، أو كيف ينزل إلى سماء الدنيا ، أو كيف يداه ؟ ونحو ذلك ، فقل له : كيف هو فى نفسه ، فإذا قال لك لا يعلم ما هو إلا هو ، وكنه البارى تعالى غير معلوم للبشر ، فقل له : فالعلم بكيفية

الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف . فكيف يمكن أن تعلم كيفية صفة لموصوف لم تعلم كيفيته ؟ وإنما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذى ينبغى لك .

بل هذه المخلوقات فى الجنة قد ثبت عن ابن عباس أنه قال « ليس فى الدنيا مما فى الجنة إلا الأسماء » . وقد أخبر الله تعالى [السجدة ١٧] : أنه ﴿ لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾ وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن « فى الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » فإذا كان نعيم الجنة — وهو خلق الله — كذلك ، فما الظن بالخالق سبحانه وتعالى ؟ وهذه الروح التى فى بنى آدم قد علم العاقل اضطراب الناس فيها ، وإمساك النصوص عن بيان كيفيتها ، أفلا يعتبر العاقل بها عن الكلام فى كيفية الله تعالى ؟ مع أنا نقطع بأن الروح فى البدن ، وأنها تخرج منه وتعرج إلى السماء ، وأنها تسل منه وقت النزع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة ، لا نغالى فى تجريدها غلو المتفلسفة ومن وافقهم حيث نفوا عنها الصعود والنزول والاتصال بالبدن والانفصال عنه ، وتخبطوا فيها حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته ، فعدم مماثلتها للبدن لا ينفى أن تكون هذه الصفات ثابتة لها بحسبها . إلا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص ، فيكونون قد أخطئوا فى اللفظ ، وأنى لهم بذلك .

وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها ، أعنى الذين يقولون : ليس لها فى الباطن مدلول هو صفة الله تعالى قط ، وإن الله لا صفة له ثبوتية ، بل صفاته إما سببية ، وإما إضافية ، وإما مركبة منهما . أو يثبتون بعض الصفات وهى الصفات السبعة أو الثمانية أو الخمسة عشر ، أو يثبتون الأحوال دون الصفات على ما قد عرف من مذاهب المتكلمين ، فهؤلاء قسمان : قسم يتأولونها ويعينون المراد ، مثل قولهم : استوى بمعنى استولى ، أو بمعنى علو المكانة والقدر ، أو بمعنى ظهور نوره للعرش ، أو بمعنى انتهاء الخلق إليه ، إلى غير ذلك من معانى المتكلمين . وقسم يقولون : الله أعلم بما أراد بها ، لكنا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجية عما علمناه .

وأما القسمان الواقفان فقسم يقولون : يجوز أن يكون ظاهرها المراد اللائق بجلال الله ، ويجوز بأن لا يكون المراد صفة الله ونحو ذلك ، وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم . وقوم يمسكون عن هذا كله ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات ، فهذه الأقسام الستة كلها لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منهم .

والصواب فى كثير من آيات الصفات وأحاديثها القطع بالطريقة الثابتة كالآيات والأحاديث الدالة على أن الله سبحانه وتعالى فوق عرشه ، وتعلم طريقة الصواب فى هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة والإجماع على ذلك دلالة لا تحتمل النقيض ، وفى بعضها قد يغلب على الظن ذلك مع احتمال النقيض ، وتردد المؤمن فى ذلك هو بحسب ما يؤتاه من العلم والإيمان ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور . ومن اشتبه عليه ذلك أو غيره فليدع بما رواه مسلم فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها قالت «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام يصلى من الليل قال : اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم » وفى رواية لأبى داود أنه يكبر فى صلاته ثم يقول ذلك . فإذا افتقر العبد إلى الله ودعاه ، وأدمن النظر فى كلام الله وكلام رسوله وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ، انفتح له طريق الهدى ، ثم إن كان قد خبر نهايات إقدام المتفلسفة والمتكلمين فى هذا الباب ، وعرف غالب ما يزعمونه برهاناً وهو شبهة ، رأى أن غالب ما يعتمدونه يئول إلى دعوى لا حقيقة لها ، أو شبهة مركبة من قياس فاسد ، أو قضية كلية لا تصح إلا جزئية ، أو دعوى لا حقيقة له ، أو التمسك فى المذهب والدليل بالألفاظ المشتركة ، ثم إن ذلك إذا ركب بألفاظ كثيرة طويلة غريبة عمن لم يعرف اصطلاحهم ، أوهمت الغر ما يوهمه السراب للعطشان ، ثم ازداد إيماناً وعلماً بما جاء به الكتاب والسنة فإن « الضد يظهر حسنه الضد » وكل من كان بالباطل أعلم كان للحق أشد تعظيما ، وبقدره أعرف . فأما المتوسطون من المتكلمين فيخاف عليهم مالا يخاف على من لم يدخل فيه وعلى من قد أنهاه نهايته ، فإن من لم يدخل فيه فهو فى عافية ، ومن أنهاه فقد عرف الغاية ، فما بقى يخاف من شىء آخر ، فإذا ظهر له الحق وهو عطشان إليه قبله . وأما المتوسط فيتوهم بما يتلقاه من المقالات المأخوذة تقليداً لمعظمة هؤلاء ، وقد قال بعض الناس : أكثر ما يفسد الدنيا نصف متكلم ، ونصف متفقة ، ونصف متطبب ، ونصف نحوى : هذا يفسد الأديان ، وهذا يفسد البلدان ، وهذا يفسد الأبدان ، وهذا يفسد اللسان .

ومن علم أن المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم فى الغالب ﴿ فى قول مختلف ، يؤفك

عنه من أفك ﴾ ، [الذاريات ٨ — ٩] ، يعلم الذكى منهم والعاقل أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة ، وأن حجته ليست ببينة ، وإنما هى كما قيل فيها :

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقا ، وكل كاسر مكسور

ويعلم العليم البصير بهم أنهم من وجه مستحقون ما قاله الشافعى رضى الله عنه حيث قال : « حكمى فى أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويطاف بهم فى القبائل والعشائر ، ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام » .

ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القدر ، والحيرة مستولية عليهم ، والشيطان مستحوذ عليهم ، رحمتهم ورققت عليهم . أوتوا ذكاء ، وما أوتوا زكاء (١) . أعطوا فهوماً ، وما أعطوا علوماً . وأعطوا سمعاً وأبصاراً وأفئدة ﴿ فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شىء ، إذ كانوا يجحدون بآيات الله ، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ [الأحقاف ٢٦] .

ومن كان عليما بهذه الأمور تبين له بذلك حذق السلف وعلمهم وخبرتهم ، حيث حذروا عن الكلام ، ونهوا عنه وذموا أهله ، وعابوهم . وعلم أن من ابتغى الهدى فى غير الكتاب والسنة لم يزدد إلا بعداً .

فنسأل الله العظيم أن يهدينا صراطه المستقيم ،

صراط الذين أنعم عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين . آمين .

والحمد لله رب العالمين ، وصلاته وسلامه على محمد خاتم النبيين ،

وآله وصحبه أجمعين .

---

(١) ذكاء الأولى : توقد الفهم ، وزكاء الثانية : الطهارة والبركة .

فهرست

الفتوى الحموية الكبرى

صفحة

بيان عن هذه الفتوى وطبعاتها السابقة ٣
الاستفتاء وجوابه ٤
الآيات والأحاديث فى الصفات ، ومذهب السلف وأئمة الهدى فيها ٤
لا يجوز أن يكون الخالفون أعلم من السالفين فى أصول الدين ٥
لقد كذبوا على طريقة السلف ، وضلوا فى تصويب طريقة الخلف ٦
اعتراف كبار الخلف فى نهاية إقدامهم على خطئهم فيما ذهبوا إليه أولا ٦
اعتراف الفخر الرازى ، وإمام الحرمين الجوينى . وانظر ص ٥٨ ... ... ٧
كتاب الله وسنة رسوله وعامة كلام الصحابة والتابعين والأئمة نصوص فى إثبات الصفات ٨
إذا كان الحق فيما يقوله النافون للصفات الثابتة فى الكتاب والسنة فكيف يجوز على الله ثم على رسوله وعلى
خير الأمة أن يتكلموا فى خلاف الحق ؟ ١٠
اضطراب النفاة للصفات واختلافهم أكثر من أى اختلاف على وجه الأرض ١١
الشبهات التى يسمونها « دلائل » تقلدوا أكثرها عن طاغوت من المشركين أو ورثتهم ١٢
الرسول أخبر بأن أمته ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة ١٣
أصل مقالة المتكلمين فى تعطيل الصفات مأخوذ عن غير المسلمين ١٣
مذهب النفاة فى الرب أنه ليس له إلا صفات سلبية أو إضافية أو مركبة منها ١٤
التأويلات الموجودة اليوم بأيدى الناس هى تأويلات بشر المريسى ١٤
مؤلفات الأئمة وأقوالهم فى ذم مذهب المريسى ومن تابعه ١٥
القول الشامل أن يوصف الله بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ،
ومن غير تكييف ولا تمثيل ١٦
كل واحد من فريق التعطيل والتمثيل جامع بين التعطيل والتمثيل ١٧
ليس فى العقل الصريح ولا فى النقل الصحيح ما يوجب مخالفة طريقة السلف ١٨
قول مالك : أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ... ١٨
إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم ليبين للناس أمور الإيمان بالله واليوم الآخر ١٨
المنحرفون عن طريق الصحابة والتابعين ثلاث طوائف : أهل التخييل ، وأهل التأويل ، وأهل التجهيل ١٩

صفحة

المقصودون بالرد عليهم فى هذه الفتيا هم أهل التأويل ٢٠
كان النبى صلى الله عليه وسلم لا ينكر ما يذكر بين يديه من إثبات الصفات فى التوراة ٢١
معانى التأويل فى مختلف الاصطلاحات ٢١
قول ابن عباس : تفسير القرآن على أربعة أوجه ٢٢
كلام الأوزاعى فى إثبات الصفات ٢٣
قول عمر بن عبد العزيز ، وقول ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، وتلميذه مالك ٢٤
قول عبد العزيز الماجشون فى إثبات الصفات ٢٥
قول الإمام أبى حنيفة فى « الفقه الأكبر » فى إثبات الصفات ٢٨
قول محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة ، وأقوال أئمة آخرين ٢٩
قول أبى عبيد القاسم بن سلام ، وقول عبد الله بن المبارك ، وحماد بن زيد ٣٠
قول سعيد بن عامر الضبعى من شيوخ الإمام أحمد ، وقول ابن خزيمة إمام الأئمة ٣١
قول عباد بن العوام من طبقة شيوخ الشافعى ، وقول الإمام عبد الرحمن بن مهدى ٣١
قول الأصمعى ، ومالك بن أنس ، ومحمد بن إدريس الشافعى ٣١
أقوال محمد بن عبد الله بن أبى زمنين الغرناطى فى كتابه فى « أصول الدين » ٣٢
كلام أبى سليمان الخطابى فى رسالته « الغنية عن الكلام وأهله » ٣٤
قول صاحب « الحلية » أبى نعيم الأصفهانى فى عقيدة له ٣٥
وصية الإمام معمر بن أحمد الأصفهانى شيخ الصوفية فى حدود المائة الرابعة ٣٦
قول أبى بكر أحمد بن محمد الخلال فى « كتاب السنة » ٣٦
قول عمرو بن عثمان المكى — من نظراء الجنيد — فى كتابه « التعرف بأحوال العباد والمتعبدين » ٣٧
قول الإمام الحارث بن اسماعيل المحاسبى فى كتابه « فهم القرآن » ٣٨
قول الإمام محمد بن خفيف الشيرازى فى كتابه « اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات » ٤٢
قول الإمام سيد الوعاظ عبد القادر الجيلانى فى كتابه « الغنية » ٥٠
قول أبى عمر بن عبد البر من أئمة المالكية ٥١
قول الحافظ البيهقى فى كتاب « الأسماء والصفات » ٥١
قول القاضى أبى يعلى فى كتاب « إبطال التأويل » ٥٣
قول الإمام أبى الحسن الأشعرى فى كتابه « مقالات الإسلاميين » ٥٣
قول الإمام الأشعرى فى اختلاف أهل القبلة فى العرش ٥٤
قوله فى كتابه « الإبانة » وهو آخر كتاب صنفه ٥٥
قوله فى أن الله يرى ، وأن القرآن غير مخلوق ٥٥
ما ذكره فى الاستواء على العرش ٥٦
رده على المعتزلة والجهمية والحرورية فى تأويل الاستواء ٥٧
قول الأشعرى فى الوجه والعينين والبصر واليدين ورده على المتأولين لها ٥٧
قول أبى بكر الباقلانى فى الوجه واليد ٥٧

صفحة

قوله معاذ الله أن نقول إنه فى كل مكان ٥٨

قوله فى صفات الذات ٥٨

قول أبي المعالى الجوينى فى « الرسالة النظامية » آخر مؤلفاته . وانظر ص ٧ ... ... ٥٩

الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن قصد اتباع الحق ٦٠

معنى قولهم : إن ظاهر هذه الألفاظ غير مراد ٦٣

ليس فى كلام السلف نفى الصفات الخبرية فى نفس الأمر ٦٤

الإشارة إلى كتاب ابن درباس « تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشنيعة » ٦٥

الأقسام الممكنة فى آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام ٦٦

قول الإمام الشافعى : حكمى فى أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويقال فيهم : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام ٦٩

